موقع الجمعية الإسلامية الوطنية
فى الحركة السياسية العربية فى فلسطين

دكتور / محمد عبد الرءوف سليم*

معروف بأن الفكرة العربية فى سورية، أخذت تعبر عن وجودها منذ النصف الثانى من القرن الماضى، بتشكيل الجمعيات السرية والعلنية، حتى تتبلور جهود العناصر القومية العربية فى حركة عربية واحدة، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ومع تطبيق أنظمة الانتداب فى العراق وسوريا وشرق الأردن وفلسطين، انفرط عقد هذه الحركة العربية، وتناثرت حباته لتتجمع حول حركات وطنية إقليمية عربية، تدور كل منها فى فلك خاص بها، وظهرت مع بداية العشرينات حركات وطنية فى الشرق العربى، منها الحركة الوطنية الفلسطينية، فقد ترتب على احتلال القوات البريطانية لفلسطين فى عام ١٩١٨، اجتزاء فلسطين من الجسم السورى الكبير، وبرغم أن الوطنيين الفلسطينيين رفضوا هذا الاجتزاء فى بادئ الأمر، إلا أنهم عادوا وانصاعوا له

---

* أستاذ التاريخ الحديث - جامعة عين شمس.

(مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد ٢٧، يوليو/ تموز ١٩٩٧. - ص ص ٧٧ - ١٣٥).

على مضض، وأخذت ملامح حركة وطنية فلسطينية تتبلور منذئذ، معبرة عن نفسها فى مجالات شتى، اجتماعية وسياسية وثقافية.

والحق، أن الحركة الوطنية الفلسطينية اتخذت أشكالا مرحلية متمايزة، حددت ملامح النضال وأسلوبه، بفعل نوعيات القيادة التى تزعمت حركته، وقد امتدت المرحلة الأولى طوال الفترة بين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٩، حيث احتكر كبار الملاك قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، مما أصابها بالضعف والهزال، ذلك لأن تلك القيادة جنحت إلى أسلوب الكفاح السلبى، ولكن عرب فلسطين لم يخلدوا إلى السكينة، بل لجأوا إلى أسلوب العنف المحدود، بينما سادت فترات من الهدوء النسبى، وقت أن كانت «الوكالة اليهودية» سادرة فى غيها، دائبة على تحريك أجهزتها نحو تحقيق الهدف الصهيونى، حتى قامت «هبة البراق» فى خريف عام ١٩٢٩، لتبدأ المرحلة الثانية للحركة الوطنية الفلسطينية[١].

(١) ظهور التشكيلات السياسية العربية فى فلسطين.

ما إن بدأ نشاط البعثة الصهيونية إلى فلسطين، برئاسة حاييم وايزمان[٢]، فى ١٠ إبريل عام ١٩١٨، حتى تفجر الشعور المعادى لها بين عرب فلسطين، الذين كانوا يتوقعون الشر، منذ أن علموا بتصريح بلفور، الصادر فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧، وتكون «**النادى العربى**»[٣] فى القدس، فى أوائل يونيو عام ١٩١٨، وكان ضمن برنامجه «حفظ كيان البلاد من كل دعاية غاشمة»،

ذلك لأن الأمة « لا يمكن أن تحفظ استقلالها إلا بسيف ماض، وعلم يهذب الأخلاق والنفوذ »، وسرعان ما أنشئ له فرع فى يافا، وآخر فى نابلس.

كذلك تأسس « **النادى الأدبى** »[٤] فى بيت لحم، بهدف تعليم العربية والإنجليزية والفرنسية، وتلا ذلك تكوين جمعيات ولجان، فى مختلف أنحاء فلسطين، منها « **الجمعية الخيرية** » فى غزة، وهى جمعية قامت « لإصلاح ما أفسده الأتراك من أمور الكنيسة »، وأسس المسلمون فى المدينة نفسها « **جمعية غزة الخيرية لمساعدة الأيتام** »، وقامت فى حيفا « **لجنة الإخاء الإسلامى** »[٥]، وتأسس فى يافا « **النادى الاجتماعى اليافى** »[٦]، وفى القدس « **جمعية الناشئة الأدبية** »[٧]، و « **لجنة العمل العربى فى فلسطين** »[٨]. هذا الفيض من النوادى والجمعيات مثل ظاهرة صحية فى فلسطين، حيث اجتذب تياره عناصر غدت لاحقًا من قادة الحركة الوطنية ورموزها، وإن كان من دلالاته تفتت القوى الوطنية وقتئذ، وهى التى كان عليها أن تجد أسلوبا أفضل للنضال[٩].

فى تلك الأثناء، ظهر اندفاع محدود بين الصفوف الوطنية يوالى البريطانيين، ولم يكن احتلال البلاد قد اكتمل لجيوش اللنبى بعد، أسفر عن ظهور حزب فى شمال فلسطين[١٠]، بين ديسمبر عام ١٩١٧ (يوم سقوط القدس) و ٢٠- ٢٣ (سقوط نابلس وحيفا)، وكان هذا الجزء من البلاد لايزال خاضعا للسيطرة العثمانية.

فى المقابل، رأت قوى اجتماعية ضيقة، بأن تتكيف مع الاحتلال البريطانى الوافد، وترضخ لشروطه، لذا عمدت إلى مد الجسور معه، موهمة

من حولها بأنها تحاول الاستقواء به على الحركة الصهيونية، بل إن ثمة من خرج من هذه القوى، لمد الجسور مع الحركة الصهيونية نفسها، وقد انحصرت هذه القوى فى قشرة رقيقة من المجتمع، قوامها «القومسيونجية» أو الوسطاء، وجناح من كبار الملاك، الذين نجح الاحتلال فى احتوائهم، عبر ترضيتهم ببعض التسهيلات.

فى تلك الآونة، نظمت خلايا سرية من الموالين للسياسة البريطانية، فى تلك المنطقة التى نشأ فيها «**الحزب الموالى للعثمانيين**»، وكانت المنطقة نفسها ما تزال تحت الاحتلال العثمانى، وما أن انسحب الأتراك منها. حتى سارعت تلك الخلايا إلى الظهور، ودعت إلى تأسيس «**الحزب العربى الموالى لبريطانيا**» و«**الحزب العربى الموالى لفرنسا**» فى عام ١٩١٨، وبينما لم يكن للثانى شأن يذكر، فقد انتخبت الهيئة الإدارية للحزب الأول[١١] فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩١٨، واتخذ الحزب من القدس مقرًا رئيسيًا له، إضافة إلى فروع فى الناصرة وصفد وطبريا، وانحصر مؤسسو الحزب فى تجار المدن والملاك، والمثقفين الذين تلقوا تعليمهم فى المدارس التبشيرية الإنجليزية، وقد قام الحزب - أساسًا - على خدمة المصالح البريطانية[١٢]، على أن هذين الحزبين سرعان ما ذويا، بعد أن تبخر الوهم بالاتكاء على البريطانيين والفرنسيين.

فى منتصف عام ١٩١٨، وعند احتلال البريطانيين للقسم الجنوبى من فلسطين، وقبل جلاء العثمانيين عن سائر أنحاء البلاد، بدأت تتكون «**الجمعيات الإسلامية المسيحية**». وقد ظهرت فكرتها بعد أن بلغ أهل

فلسطين نبأ « تصريح بالفور » ، ومع قدوم « البعثة الصهيونية » إلى فلسطين ، وأثناء سعى السلطات البريطانية إلى خلق جو من الوفاق العربى الصهيونى ، فكان تأسيس « **الجمعية الأهلية** » **فى يافا** ، وكانت السياسة البريطانية تميل إلى تأسيس مثل تلك الجمعيات ، حتى تستطيع أن توجهها كيفما تريد ، وفى الوقت نفسه تجد تبريرًا لذلك النشاط الذى قامت به « البعثة الصهيونية » ، بأن للمسلمين والمسيحيين جمعيات مماثلة فى فلسطين ، وقد انتخب لإدارة « الجمعية الأهلية » فى يافا اثنا عشر عضوا ، نصفهم من المسلمين ، والنصف الآخر من المسيحيين ، ثم قرر زعماء القدس فى مايو عام ١٩١٨ ، تأليف جمعية عربية يجتمع فيها شملهم ، وينشغلون فى نطاقها ، فى سبيل الدفاع عن كيانهم ومركزهم ، مع السعى إلى ربط مصير فلسطين بمصير سوريا الاستقلالى الوحدوى ، وقد رفضت السلطات البريطانية تسميتها « الجمعية العربية الوطنية » ، حتى لا يكون ذلك اعترافًا منها بحركة عربية ، ومن هنا ألزمت زعماء القدس بتسميتها « الجمعية الإسلامية المسيحية » ، حتى تظل محدودة فى نطاق محلى ، منفصل عن الحركة العربية وثورتها القائمة ، وكان من أعضاء « الجمعية الإسلامية المسيحية » رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسينى ، وعارف الدجانى ، وجميل الحسينى ، وأنطون الغورى ، وخليل السكاكينى ، وشبلى الجمل ، وجودت النشاشيبى ، وإبراهيم شماس ، ثم حذت يافا وغزة حزو القدس ، فى تشكيل « الجمعية الإسلامية المسيحية » ، وبعد جلاء العثمانيين عن فلسطين وإعلان الهدنة ، تبعت مدن فلسطينية أخرى القدس ويافا وغزة ، فتأسست فيها جمعيات إسلامية مسيحية (ما عدا المناطق الشمالية ،

التى كان للحزب العربى الموالى لبريطانيا فروع فيها)، وكانت جمعية نابلس أقواها، وأكثرها نشاطا وتأثيرا فى الحركة الوطنية الفلسطينية، ربما بسبب اشتداد ساعد التجار فيها، واتخذت الجمعيات الإسلامية المسيحية لها رمزا، ممثلا فى شارة الهلال وبداخله الصليب[١٣].

وثمة من يرجع فكرة إقامة جمعيات إسلامية مسيحية فى فلسطين إلى الحاكم العسكرى البريطانى بولز، فيما يرجع آخرون تشكيل هذه الجمعيات إلى إيعاز رسمى فرنسى، على أنه مهما يكن من أمر تلك الجمعيات، فإنها فى جوهرها تعبير عن قوة الفكر الليبرالى فى فلسطين، وكان حرص العرب على تلك التسمية، بدافع من إظهار الوحدة القائمة بين المسلمين والمسيحيين فى البلاد، وإحباط أى مسعى إنجليزى لشق الوحدة الوطنية، على أساس دينى طائفى[١٤].

وتواترت الأنباء فى أواخر عام ١٩١٨، عن اقتراب موعد عقد مؤتمر السلام فى باريس، حيث يمكن عرض القضية الفلسطينية أمامه، فاتجهت الجهود إلى إعادة تكوين «الجمعية الإسلامية المسيحية» فى القدس، بالشكل الذى يمكنها من استقطاب القوى الوطنية فى المدينة والقرى المجاورة، بل والعمل على تجميع الجمعيات الإسلامية المسيحية فى جمعية واحدة، سبيلا إلى وحدة الهدف بين مختلف القوى الوطنية، ووضع برنامج موحد يمكن التقدم به إلى مؤتمر السلام، وسارت الجمعية الإسلامية المسيحية فى المسار الصحيح، ووجهت الدعوة - فى أوائل يناير عام ١٩١٩ - إلى الجمعيات والهيئات

الوطنية الأخرى، للمشاركة فى مؤتمر يبحث فى عرض المطالب الوطنية على مؤتمر السلام، وقد أخذت الجمعيات الإسلامية المسيحية تختار مندوبيها إلى المؤتمر، وقررت لجنة إدارة «الحزب العربى» فى حيفا تحويل الحزب وفروعه فى المدن الشمالية - كالناصرة وطبرية وصفد - إلى جمعيات إسلامية مسيحية، حتى تتحد القوى الوطنية تقوية للخط الوطنى.

وهكذا، عقد المؤتمر العربى الفلسطينى الأول، فى الفترة ما بين ٢٧ يناير و ٩ فبراير عام ١٩١٩[١٥]، وانتخب عارف الدجانى رئيسا له، ومحمد عزة دروزة سكرتيرًا[١٦]، ثم توالى عقد المؤتمرات الفلسطينية بعد ذلك.

برزت الجمعيات الإسلامية المسيحية فى ميادين العمل الوطنى، وخاصة جمعيتا القدس ونابلس، حتى تحققت لها قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، وكان لهذه الجمعيات جهد ملحوظ فى تأكيد «الميثاق الوطنى» أمام «لجنة كنج كرين»، التى وصلت إلى فلسطين فى ١١ يونيو عام ١٩١٩، وعقدت الاجتماعات السرية والعلنية، لتوحيد مطالب البلاد، ولما عقد المؤتمر السورى العام فى دمشق فى يوليو عام ١٩١٩، بذل رجال الجمعيات الإسلامية المسيحية جهودًا مجدية، ظهرت آثارها فى قرارت المؤتمر، وقد عقدت الجمعيات الإسلامية المسيحية عدة اجتماعات إثر صدور قرارات «مؤتمر سان ريمو»، وصدرت صيحات الاحتجاج على السياسة البريطانية، ورفعت مذكرة مشتركة، تحتج فيها على قرارات المجلس الأعلى للحلفاء بفرض الانتداب، مع النص فى صكه على ما جاء فى «تصريح بالفور»[١٧].

اعتادت القيادة الفلسطينية على تكوين لجنة تنفيذية تنبثق عن كل مؤتمر فلسطيني، بهدف تنفيذ قرارات المؤتمر، والإشراف على الحركة الوطنية فى البلاد، وبهذا الشكل تمخض المؤتمر الفلسطيني الثالث، الذى عقد فى حيفا (١٣- ١٩ ديسمبر عام ١٩١٩) عن تكوين **اللجنة التنفيذية العربية**، وكانت برئاسة موسى كاظم الحسيني، حتى وفاته فى ربيع عام ١٩٣٤[١٨].

بدأت الحركة الوطنية الفلسطينية تتخذ ركائز لها فى اللجنة التنفيذية العربية، **والمجلس الإسلامى الأعلى**، بعد أن بدأ الضعف يدب فى أوصال الجمعيات الإسلامية المسيحية، إذ صارت بعد عام ١٩٢٠ ميدانًا للتنافس بين شلل مختلفة، وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلت الجمعيات الإسلامية المسيحية من أبرز التنظيمات السياسية الوطنية، حتى نهاية العشرينات، حين أقدمت سلطات حكومة الانتداب على اقتحام اجتماعاتها، والزج برجالها فى السجون، بل وإغلاق مقارها فى بعض الأحيان[١٩].

(٢) القوى الفلسطينية المعادية للحركة الوطنية

يستنتج الباحث المدقق، بأن التقسيمات السياسية فى داخل المجتمع العربى الفلسطيني، والتى تركت بصمات واضحة على الحركة الوطنية الفلسطينية، كانت قبل كل شيء نتاج بنية المجتمع العربى الفلسطيني ذاته، ذلك لأن نمو قوة النخبة فى المدينة الفلسطينية فى القرن التاسع عشر، أنعشت المنافسة الداخلية بين الأسر الفلسطينية على مواقع النفوذ، فى مراكز القوة الاجتماعية السياسية:

البلديات ، والمجالس الإقليمية ، والجهاز الإدارى والقانونى ، وقد برزت هذه النخبة على حساب نخبة القرية ، التى شابتها الحساسية بدرجة كبيرة ، بالنسبة لما خسرته من النفوذ والقوة ، يضاف إلى ذلك أن ضم مقاطعات القدس ونابلس وعكا فى وحدة سياسية واحدة ، أدى إلى اتساع مدى سيادة نخبة القدس خارج حدود منطقتها ، حتى ضمت كل فلسطين ، مما أوجد نوعا من الحساسية بين عناصر النخبة فى كل مدينة أخرى ، حتى بات التقسيم السياسى الداخلى فى المعسكر الوطنى الفلسطينى ، تعبيرًا سياسيًا فى الحركة الوطنية الفلسطينية . وكان ظهور أسرة النشاشيبى فى القدس ، منذ مطلع القرن العشرين ، كعنصر منافس للأسر التى كان وجودها منذ ما سبق تقليديًا ، وبالذات أسرتى الحسينى والخالدى ، عاملا جعل التنافس الأسرى أكثر حدة ، ذلك لأن أسرة النشاشيبى ، التى ظهرت على التو ، وكان وضعها يتصل بشكل أكبر من غيرها من الأسر ، بالجهاز الحكومى العثمانى ، فصارت تمثل عنصرا منافسا لتلك الأسر فى العقود الأخيرة من الحكم العثمانى ، وفى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أصبح موسى كاظم الحسينى ، الشخصية المرموقة فى الحركة السياسية الفلسطينية ، كرئيس اللجنة التنفيذية العربية ، وظهر من نفس الأسرة منافس آخر لأسرة النشاشيبى وغيرها ، هو الحاج أمين الحسينى ، الذى كان سابقًا رئيسًا للنادى العربى ، ثم انتخب رئيسًا للمجلس الإسلامى الأعلى فى يناير عام ١٩٢٢ ، ومنذ بداية نشاط اللجنة التنفيذية العربية ، ظهرت جماعة من هؤلاء الذين وجدوا فى أنفسهم كوادر سياسية عاطلة لا يعتد بها ، فوقف معظمهم إلى جانب خصوم « اللجنة التنفيذية العربية » ، وكان وجود

هؤلاء علامة على أن حدود المعارضة الفلسطينية اتسعت إلى خارج المنافسة الأسرية ، وقد ادعى هؤلاء بأن معارضتهم للجنة التنفيذية العربية جاءت نتيجة دفعهم بقوة إلى خارج الساحة السياسية ، وبسبب الفساد الذى شاب الحركة الوطنية الفلسطينية ، الناجم عن سلوك زعمائها الذين « يعملون لتحقيق أغراضهم الخاصة » ، من هؤلاء الشيخ سليمان التاجى الفاروقى[٢٠] ، الذى كان من أوائل الداعين إلى عقد المؤتمر الفلسطينى الثالث ، وانتخب عضوًا فى أول لجنة تنفيذية عربية ، لكنه وجد نفسه خارج الحركة السياسية ، فعندما انتخب المؤتمر الفلسطينى الثانى أول وفد إلى لندن ، لم يكن الفاروقى من بين أعضائه ، بسبب الرغبة فى ترك منصب رئيس الوفد لموسى كاظم الحسينى ، لذلك استقال الفاروقى من المؤتمر ، وبقى خارج المجلس الإسلامى الأعلى وهيئته فى عام ١٩٢٢ ، مما يفسر عدم اشتراكه فى المؤتمر الفلسطينى الخامس ، الذى عقد فى أغسطس من العام نفسه ، ورغم أن محاولة عمر البيطار لانتخاب الشيخ سليمان التاجى الفاروقى ، عضوًا فى اللجنة التنفيذية العربية فى العام نفسه كللت بالنجاح ، إلا أنه لم يكن له دور فى نشاطها ، وبرزت المعارضة الفلسطينية ، وكان الفاروقى أحد زعمائها المؤثرين لعدة سنوات لاحقة[٢١] .

أما عارف باشا الدجانى[٢٢] ، فقد كان أول رئيس للجمعية الإسلامية المسيحية فى القدس ، ورئيسًا للمؤتمر العربى الفلسطينى الأول عام ١٩١٩ ، كما أختير نائبًا لرئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطينى الثالث - موسى كاظم الحسينى - . ولكن وضعه فى القيادة الوطنية بدأ يتآكل مع نمو أهمية « النادى العربى » ، كما حركه انتخاب موسى كاظم الحسينى كرئيس للجنة

التنفيذية العربية، بعيدًا عن دائرة الضوء، وعندما غادر الوفد الفلسطينى الأول إلى لندن، اختير رئيسًا للجنة التنفيذية العربية، بالوكالة عن موسى كاظم الحسينى، الذى انشغل برئاسة الوفد، وكان هذا بطريقة أو بأخرى عوضًا للدجانى على عدم اختياره عضوًا فى الوفد، وقد ساير الدعاية التى انتشرت وقتئذ، عن عدم جدوى نشاط الوفد، وشارك بوضع العقبات فى طريق جمع الأموال له، ولما تقرر إرسال وفد فلسطينى إلى الحجاز، طلب عارف باشا أن يكون على رأسه، ولما انتخب غيره، وقف ضد قرار اللجنة التنفيذية العربية بإرسال الوفد وضد سياسته، وتمثل رد الفعل لدى اللجنة فى فصله من مقعد الرئاسة الذى كان يحتله، فوقف علنا فى صف المعارضة الفلسطينية، معلنا بأنه استقال اعتراضًا على وسائل اللجنة التنفيذية العربية.

ويربط باحث إسرائيلى بين هذا الموقف، وبين التحاق شكرى الدجانى - شقيق عارف الدجانى - بالجمعية الإسلامية الوطنية، رئيسًا لأحد فروعها، مما أثر سلبًا على وضع عارف باشا[٢٣]، وكان خروج عارف باشا الدجانى من صف القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية، يمثل أول انسلاخ عنها[٢٤].

كذلك كان أسعد الشقيرى (من عكا) أحد دعائم المعارضة فى المقاطعات الشمالية، إن ماضيه ووضعه الإسلامى قد أنعشا معارضته لرئيس المجلس الإسلامى الأعلى، والسؤال الذى يثيره باحث إسرائيلى هو: هل كانت هناك علاقة بين معاداته للقومية العربية، ووقفته الإسلامية التقليدية؟ أم أن المسألة لم

تكن أكثر من المصادفة ؟. ويرى الباحث نفسه بأن الإجابة على ذلك السؤال « المعقد » ، لا يمكن أن تكون غير مبهمة ، ويرجح أن الموقع الذى احتله أسعد الشقيرى كان ظاهرة عامة بين صفوف المعارضة ، أكثر مما كان بسبب عدائه لدوائر اللجنة التنفيذية العربية ، والمجلس الإسلامى الأعلى ، ودليل الباحث الإسرائيلى على ذلك ، أنه وجد إلى جانب أسعد الشقيرى أعضاء معارضين ، يشدهم ارتباط سابق بالولاء للدولة العثمانية ، كدولة إسلامية ، بعد غزو البريطانيين لفلسطين ، كان من هؤلا حيدر بك طوقان ، وعبد اللّه مخلص [٢٥] .

وكان لمعارضة أسعد الشقيرى للجنة التنفيذية العربية ، والمجلس الإسلامى الأعلى مغزى خاص ، فقد شغل الرجل مناصب هامة خلال الحكم العثمانى ، حيث كان نائبًا فى البرلمانى العثمانى ، ورئيسًا للجنة « توضيح شئون الشريعة » فى مكتب شيخ الإسلام فى العاصمة العثمانية ، وأخيرًا شغل منصب مفتى الجيش التركى الرابع ، الذى كان تحت إمرة أحمد جمال باشا أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان خصمًا قويًا للاتجاه القومى العربى ، ومساندًا قويًا لمبدأ كمال الإمبراطورية العثمانية (الإسلامية) ووحدتها [٢٦] ، ولم يمثل الشقيرى استثناء ، بل إن عديدًا من الزعماء الفلسطينيين ، الذين بدأوا بمنطلقات دينية إسلامية ، ثم ساروا خلف مبدأ عروبة فلسطين ، وقت أن أصبحت الأهداف الصهيونية واضحة للعيان ، ورغم هذا فإن تولى الشقيرى منصب مفتى الجيش التركى الرابع ، عندما كان زعماء اليقظة العربية غير مقبولين لدى السلطات العثمانية ، أعطى موالاته للعثمانيين مغزى خاصًا ، جعله منفردًا عن العديد من

الزعامات الفلسطينية ، بل إنه تمسك بآرائه ، حتى بعد تفتيت الإمبراطورية العثمانية ، وعند نشوء الحركة السياسية فى فلسطين ، فى خريف عام ١٩٢٠، لم يبتعد أسعد الشقيرى فحسب ، بل عارض الاتجاه الوطنى أيضًا ، وامتاز عن غيره بأنه كتب عدة مقالات صحفية ضد اليقظة العربية القومية ، وتفتيت الإمبراطورية ، التى ادعى أن العرب تمتعوا فى ظلها بالحرية والمساواة التامة[٢٧] .

إن هؤلاء الذين تمنوا عودة الحكم العثمانى إلى فلسطين ، عارضوا « اللجنة التنفيذية العربية » ، ولعل ذلك يفسر مساندة صحيفة « الكرمل » فى نهاية عام ١٩٢٣ لخصوم اللجنة ، بعد أن تبرأت من مدخلها المعادى للعثمانيين ، بعد أن عظمت أيام الخلافة العثمانية ، وليس عجيبًا إذن أن نجد هؤلاء الذين أصبحوا زعماء المعارضة ، والمتحدثين باسمها (راغب النشاشيبى ، ويعقوب فراج ، وعارف باشا الدجانى ، وآخرون) لم يتفقوا على المناداة بأن فلسطين هى الجزء الجنوبى من سوريا ، وعبّروا فى بداية العشرينات عن عدائهم للهاشميين ، ونشاطهم فى سوريا بين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٠، ولم يشارك أحد من أسرة النشاشيبى فى المؤتمر الفلسطينى الثالث ، كما لم يرشح أحد منهم لعضوية اللجنة التنفيذية التى انبثقت عنه ، واشترك الشيخ سليمان التاجى الفاروقى فى المؤتمر الفلسطينى الرابع ، ولكنه لم يرسل ممثلين إلى المؤتمر عن الجمعية الإسلامية المسيحية فى الرملة ، التى كان رئيسا لها ، والحق أن أحد أفراد أسرة النشاشيبى شارك فى المؤتمرات الفلسطينية ، الرابع[٢٨] ، والخامس[٢٩] ، والسادس[٣٠] ، وهو جودت النشاشيبى ، ولكن يبدو بأنه فعل ذلك بسبب شقاق حدث بينه وبين

أسرته ، على أى الأحوال ، لم تكن مشاركته هذه دليلا على أنه كان قد برئ من مؤثرات الشقاق بين المعسكرين الفلسطينيين ، ولكن كان هنالك عزم فى هذا المؤتمر على فعل شيء فى اتجاه جذب الزمرة ، التى لم تشارك ، ولكن هذا الاتجاه لم يحقق نتائج ملموسة ، طالما لم يشجع القائمون على أمر اللجنة التنفيذية العربية ، المنتمين لأسرة النشاشيبى وأنصارهم ، على المشاركة فى المؤتمرات ، وعندما حاول « المنتدى الأدبى » ، الذى كان تحت سيطرة النشاشيبيين ، أن يشترك فى المؤتمر الفلسطينى الخامس ، حالت اللجنة التنفيذية العربية دون ذلك ، ولم يسمح لممثله – عزت طنوس – بالاشتراك فى المؤتمر ، وكانت هناك شخصيات أخرى ، سمح لها بالمشاركة فى المؤتمر نفسه ، قبل أن تتحول إلى تدعيم المعارضة (منهم عبد اللّه مخلص) ، ثم تكررت صورة مشابهة فى المؤتمر الفلسطينى السادس ، فقد شارك رجال ينتمون للمعارضة ، ولكن فى هذه المرة انتقدت جماعات المعارضة ترتيبات تعيين المندوبين إلى المؤتمر ، وقد اعترض أحد المندوبين علنًا على « التكوين الأحادى الجانب » للجنة التنفيذية ، المنبثقة عن هذا المؤتمر[٣١] .

هناك عناصر أخرى أمدت المعارضة فى الشمال ، ففى حيفا كان الشعور بالتضامن الإسلامى المسيحى ضعيفًا ، حتى أن المشايعين للجنة التنفيذية العربية هناك ، كانوا منتظمين فى جمعيات إسلامية أو مسيحية منفصلة عن بعضها البعض . على أن الجمعية الإسلامية ، التى لم تتردد فى الخروج على المشاركة مع المسيحيين فى اللجنة التنفيذية العربية ، وكان من بين أعضائها رجل من كبار

رجال الدين الإسلامى [٣٢]، وقد صادفت قدرًا كبيرًا من النجاح فى يافا، وبرز فى بيسان عاملان للمعارضة: تمثل الأول فى القدرة على الوقوف ضد الجمعية الإسلامية هناك، وكان يوجهه مسيحى، بينما نجد العامل الثانى ممثلا فى المدخل التقليدى لمشايخ البدو، الذين دفعوا بعيدًا عن الشعور بالتضامن الوطنى، مع عناصر أخرى فى المجتمع العربى فى فلسطين، وفى الناصرة، كانت هناك أسرة قوية، هى أسرة الفاهوم، التى كان منافسوها فى المنطقة أعضاء أسرة زعيب، قد مالوا إلى اللجنة التنفيذية العربية ومسانديها، هذا التوحيد بين العناصر المحلية مع العامل الأساسى، القائم على الاستياء من تركيز القيادة فى القدس، جعل من الشمال مركزًا تقليديًا لمعارضة اللجنة التنفيذية العربية[٣٣].

والجدير بالذكر، بأن تقسيم نابلس بين الأسر إلى معسكرين، سهل عمليات انتشار المعارضة فيها، وكان الحاج توفيق حماد على رأس المعسكر الأول، بينما قاد حيدر بك طوقان المعسكر الآخر، وكان طوقان رئيس بلدية نابلس لمدة طويلة، وانتخب عضوًا فى البرلمان العثمانى فى عام ١٩١٢، ثم تغيرت الأمور فى عام ١٩١٤، وانتخب الحاج توفيق حماد بدلا منه، ولم تكن الأسباب هنا واضحة، ولكن على أية حال، أن أخذ حماد موقعه كشخصية رئيسية فى نابلس وضواحيها، وعندما بدأت التنظيمات السياسية الوطنية العمل - اللجنة التنفيذية العربية والوفد الفلسطينى - فى أوائل العشرينات، انتخب حماد عضوًا فيها، ولم يكن من المستغرب حينئذ أن يصبح حيدر

طوقان خصمًا للجنة التنفيذية العربية فى منطقة نابلس، وأحد أعمدة المعارضة هناك، مستعينًا بأصدقائه ومعاونيه، وكانت هناك حالات أخرى لأفراد سبق لهم أن شغلوا مناصب مختلفة فى الإدارة العثمانية - المدنية والدينية - ثم أهملتهم الحركة السياسية الفلسطينية عند نشأتها، فالتحقوا بصفوف المعارضة[٣٤].

(٣) محاولات اختراق الحركة السياسية العربية الناشئة فى فلسطين

وجد الصهيونيون فى تلك القوى السياسية المحلية المعادية للحركة الوطنية الفلسطينية ضالتهم المنشودة، فحاولوا جذبها إلى صفهم، وتنظيمها فى تشكيلات حزبية، لضرب الحركة السياسية العربية من الداخل، فاستمر حوار بين القائمين على أمر «الفأدلئومى»[٣٥] (المجلس الملى ليهود فلسطين) والقيادات العمالية اليهودية فى فلسطين، حول العناصر التى يمكن استغلالها لتحقيق هذا الهدف، وقد ساد الشك بين المتحدثين باسم العمال اليهود فى فلسطين، حول قيمة كسب صداقة «الأفندية»، وصمموا على حقهم فى اختراق مجال العمل العربى، بأسلوب يتصل بالاعتبارات الخاصة بهم فى ما يتعلق بالوجود الوطنى المعادى للمشروع الصهيونى، وقد وقف بن جوريون ضد الاقتراحات الخاصة بانفراد «اليشوف»[٣٦] بسياسة عربية، من خلال الاستناد إلى المبدأ القائل بأن «كل شريحة اجتماعية تتعامل مع الشريحة المناظرة لها»، على المستوى العربى، وقال «من الممكن أن نقبل بوجهة النظر العامة القائلة بأن الفأدلئومى يرغب فى خلق علاقات ودية مع العرب. ولكن لا

تتركوا الفأدلئومى يتحمل مسئولية ما يفعله الاشتراكيون اليهود ، لدفع العمال العرب إلى وضع أكثر اقترابًا ، أو ما تفعله جماعات أخرى من السكان اليهود ، سبيلا إلى كسب جماعات أخرى من السكان العرب » . وفى ربيع عام ١٩٢٢ ، ورغم أن كل عناصر « اليشوف » قدرت الحاجة إلى « إعلان متبادل » بين الفأدلئومى والقيادات العمالية اليهودية ، إلا أن أحدًا لم يكن عازمًا على التنازل عن حريته فى العمل لسلطة مركزية ، إن الاستقلال المستمر لمختلف أقسام العمل – فى مجال اختراق الحركة السياسية العربية الناشئة – عن أى إدارة مركزية منبثقة عن اليشوف ، لم يكن أكثر من تصور لعجز الفأدلئومى عن أن يهيمن على يهود فلسطين ، ومن هنا ، فإنه كان عاجزًا حتى عن أن يقدم مدخلا متماسكًا لصنع ركائز يهودية داخل الحركة السياسية العربية ، وفى الحال ، اختار اليشوف ذلك الاستقلال كأحد المجالات التى يتحدى فيها الاتجاه السياسى للقيادة « الأجنبية » ، الممثلة فى اللجنة التنفيذية الصهيونية فى لندن ، واللجنة التنفيذية الصهيونية بفلسطين[٣٧] ، فى القدس ، ولم يمض وقت طويل ، قبل أن يتحول ذلك التذمر المتراكم لدى يهود فلسطين إلى العمل « على المكشوف » ، والدعوة إلى مناوأة احتكار اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين للعمل السياسى ، والمطالبة بصوت محلى أعظم من أجل أن « لا يفعل شىء ضد رغبات اليشوف » ، وأصبح من المألوف أن يرجع ممثلو اليشوف رد الفعل العربى المعادى للمشروع الصهيونى ، إلى ذلك الموقف غير الصحيح الذى يقفه « الصهيونيون الأجانب ، الذين انفردوا باتخاذ كل القرارات »[٣٨] ، هذا التأكيد الذاتى المحلى وغير المتردد ، قد وصل إلى درجات أعلى جديدة فى أواخر عام

١٩٢٢، وأوائل العام التالى، ودار حوار حول «الأهلية المحلية» و«الخبرة العملية» فى الشئون العربية، وقيل أنه يجب أن يكون هناك توظيف أعظم لهؤلاء الرجال، ذوى الخبرة فى هذه المسألة، وهم المقيمون المحليون الذين كان لهم بالفعل اتصال بالعرب، والذين دربوا على أن يصيروا مألوفين لدى العرب، ويفهمون عقليتهم، وقد أدى ضغط «اليشوف» من أجل تخصيص دور أكبر له، فى تعميم السياسة الصهيونية تجاه عرب فلسطين، إلى تشكيل لجنة مشتركة من ممثلى الفأدلئومى واللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، فى منتصف عام ١٩٢٢، ولم يقتنع يهود فلسطين - تماما - بهذه اللجنة، ومن المحتمل أنها أيقظت إحساسًا قويًا بافتقار اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين إلى الحصافة التامة، وخاصة عندما تتجاهل «الصوت المحلى» اليهودى، بالتصميم على أن يجلس ممثلو الفأدلئومى كمستشارين فحسب، دون أن يكون لهم رأى ملزم، وفى يوليو من العام نفسه، اتهم مائير ديزنجوف الفأدلئومى، بالتقصير إزاء اتخاذ الخطوة الشجاعة بالمطالبة بتحمل اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين القسط الأوفر من المسئوليات الخاصة بالتعامل مع عرب فلسطين «لليشوف»، بما فى ذلك الميزانية التى تخصصها الأجهزة الصهيونية لهذا المجال، وأكد ديزنجوف على أن العرب اتصلوا فقط باليهود المحليين، بينما بقى المسئولون الصهيونيون، وعلى رأسهم إدرويششكين، أجانب عنهم، لا يعرفون لغتهم وعاداتهم، على أنه بينما أقر أغلب أعضاء الفأدلئومى، بأن العرب يفضلون التعامل مع «اليهود المواطنين» بعيدًا عن الممثلين الصهيونيين الأجانب، فإنهم ترددوا تجاه المطالبة بكامل المسئولية الخاصة بالتعامل مع عرب فلسطين[٣٩].

ثمة مشروعان وجدا الفرصة للتعبير عن نفسيهما فى إطار هذا الجدل، سبيلا إلى توفير سيطرة أقوى فى مسألة العلاقات العربية اليهودية فى فلسطين، أولهما مشروع الأمانة العربية، وثانيهما مشروع العمل الثقافى بين العرب، وقد افتتح الفأدلئومى هيئة الأمانة العربية، المتواضعة فى مظهرها المعتدلة فى حركتها، حيث ترأسها نسيم ملول وهو يهودى فلسطينى، اكتسب خبرة بالصحافة العربية، التى كانت تصدر فى فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، من خلال عمله كمحلل لاتجاهات الرأى العام العربى فى فلسطين، ملحق بمكتب فلسطين التابع للمنظمة الصهيونية العالمية[٤٠].

لقد كان تنظيم ملول وتوجهه متفقًا مع الآراء التى عبر عنها إسحاق إبستين[٤١]، فى محاضرة[٤٢] ألقاها أوائل عام ١٩٢٢، وكان إبستين من الأوائل الذين حذروا من العقبات الخطيرة التى كان من الممكن أن يضعها عرب فلسطين فى طريق المشروع الصهيونى فى بلادهم، ورغم أنه نأى بنفسه عن العمل فى مجال العلاقات العربية اليهودية، إلا أنه عبر عن اقتناعه بأن اليهود لم يتعاملوا فى هذا المجال بالجدية الكافية، بل تعددت الأمثلة على عدم الكياسة والغباء وفقدان الفرص، وتبنى حلول زائفة وخطيرة، ونادى إبستين أخيرًا بأن تترك اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين العمل فى هذا المجال للفأدلئومى[٤٣].

غير أن ملول بدأ بنشاط أصابه التخبط، لقد وضع صياغة رسالة للملك حسين بن على، تتعلق بالمقاصد اليهودية بالنسبة للمواقع الإسلامية المقدسة،

وعمل على نشر كتيبات بالعربية، تشجع التفاهم بين العرب واليهود فى فلسطين، بعد انتهاء أعمال المؤتمر الفلسطينى الخامس. وسافر إلى مصر للتعرف على موقف الصحافة فيها، من إنشاء الوطن القومى اليهودى[٤٤]. وربما لم يتعلق الجزء الأكبر من عمل ملول اليومى بالحركة السياسية العربية، وصادفت تحركاته ردود أفعال عربية فلسطينية متباينة، تمثلت فى: اعتراض عربى شديد على تكوين علاقات ودية مع اليهود، وشكاوى عديدة من وعود يهودية غير مبذولة، وتنديدات عربية بالأهداف الصهيونية، و«فيض لا ينتهى» من الالتماسات الخاصة بالمساعدة فى الحصول على وظائف حكومية وفرص عمل[٤٥]، إلى جانب طلبات القروض، والإفادة من الخدمات الصحية اليهودية، وطلبات توفير أماكن للعرب فى المدارس اليهودية[٤٦].

يتضح مما سبق، بأن نسيم ملول كان يعتمد على أشخاص وصوليين متسلقين، ولكنه أثناء تعامله مع هذه السلسلة الطويلة من تلك المطالب التافهة، التى وردت فى أدبيات صهيونية، فإنه رأى فى نفسه القدرة على تنفيذ برنامج يشعر عرب فلسطين بالمنافع «العظيمة»، التى تعود عليهم من جراء التقدم الذى تحدثه الصهيونية فى البلاد، ويذهب كابلان إلى القول بأنه إذا كان ملول لم يحقق نجاحًا كبيرًا فى ما بين أغسطس عام ١٩٢٢ وإبريل عام ١٩٢٣، فإن ذلك يرجع بالتأكيد إلى الحاجة للمثابرة من جانبه[٤٧]، بيد أن تجارب ملول شجعت المنظمة الصهيونية العالمية على اتخاذ دور أكثر إيجابية.

(٤) الجمعية الإسلامية الوطنية

افترض الجانب الصهيونى بأن الأغلبية الكبيرة غير المنظمة من عرب فلسطين، شكلت عاملا محايدًا فى الصراع بين العرب واليهود فى فلسطين، وأن هذه الأغلبية أذعنت بشكل كبير، للتأثير «السلبى» للحركة السياسية الناشئة فى فلسطين، بما تضم من «محرضين» على العمل ضد المشروع الصهيونى فى البلاد، ومن خلال مسايرة هذا الافتراض الخاطئ، أدرك الصهيونيون الحاجة إلى تخصيص جهود معينة «لكسب ود هذا العامل المحايد»، وشعروا بأن المطلوب إشراك حكومة الانتداب معهم فى تقديم الآليات التنظيمية الممكنة، والمساندة الرسمية لخلق حزب أو مؤسسة، تكون ذات تأثير إيجابى يشعر الفلسطينيون بجدواه[٤٨]، أى اتباع سياسة تخريب الحركة الوطنية الفلسطينية.

كانت تسوية ما بعد الحرب العالمية الأولى، التى أعلنت فى سان ريمو، مقنعة بشكل كبير للجانب الصهيونى، بقدر ما أصابت العرب بخيبة الأمل، ثم تمثل أول نجاح حققه الصهيونيون - بعد سان ريمو - فى تعيين هربرت صموئيل - ذلك اليهودى الصهيونى البريطانى - أول مندوب بريطانى سام فى فلسطين، بينما زاد سقوط الحكم العربى فى دمشق من قوة شعور قادة الحركة السياسية العربية فى فلسطين بالإحباط[٤٩].

وبينما كان الصهيونيون مشغولين خلال الأشهر التالية لمايو عام ١٩٢٠،

بخلق ظروف تمكن من «الدفاع» عن الوجود اليهودى فى فلسطين ضد الهجمات العربية المحتملة، فى أعقاب صدامات مايو من ذلك العام بين العرب واليهود، كان هناك عدد متزايد منهم يرغب فى الذهاب إلى ما هو أكثر، وهو الانخراط الصهيونى فى عمل سياسى فعال بين العرب، بهدف كسب أصدقاء منهم، وبالتالى يقللون من احتمالات صدام مقبل، وعلى هامش الحاجة الملحة لدعاية قوية التأثير، تستهدف إقناع العرب بأن التنمية الصهيونية لن تسبب لهم أى أضرار، بل تأتى لهم بالمنفعة، وجهت الجهود السياسية الصهيونية، من خلال اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، فى أعقاب المؤتمر الصهيونى لعام ١٩٢١، نحو تنظيم عرب «معتدلين» من فلسطين، فى تشكيل سياسى يؤثر فى الحركة السياسية العربية بشكل إيجابى، ويعود بالنفع على الصهيونية، وكانت هناك وسائل عدة، لإمداد القوى الفلسطينية المعادية للجمعيات الإسلامية المسيحية، واللجنة التنفيذية العربية، بالقوة اللازمة، بهدف إصابة «المتشددين العرب» بالضعف والهزال، وردت فى «الخطة المقترحة للعمل السياسى بين العرب»، التى عرضت فى أكتوبر عام ١٩٢٢، على اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، على أن هناك تحذيرًا من أن يتعرض تنفيذ هذه الخطة إلى عوامل «ضغط تلقائية»، ليس أقل من ذلك التحديد «الغامض والمراوغ» لمدلول كل من لفظى «المعتدلين العرب» و«المتشددين العرب»، وإلى جانب ذلك، أحصيت بعض العقبات التى خشى من أن تعوق تنفيذ هذه الخطة، منها العجز المالى الميئوس من تخطيه، والخلل التنظيمى، وأقسام

اليشوف غير المتحدة على هدف واحد، بالنسبة لهذه المسألة، والموقف البريطانى غير المواتى[٥٠].

وكانت البعثة الصهيونية، التى قدمت إلى فلسطين عام ١٩١٨، ومن بعدها اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، قد لاحظتا بالفعل - منذ بداية نشاطهما - بأن هناك عناصر كانت - لسبب أو لآخر - تعارض الشخصيات القيادية فى الحركة السياسية العربية، وقد حركها الميل العربى الفلسطينى المعادى للصهيونية، إلى إجراء اتصالات بتلك العناصر لتشجيعها «روحيًا ومادياً» على العمل ضد القوى الوطنية المعادية، وحظيت المسألة باهتمام كبير فى اجتماعات اللجنة التنفيذية الصهيونية فى لندن، فى السابع من مايو عام ١٩٢٠، وبدلا من مناقشة ما كان يجب أن تكون عليه السياسة الصهيونية تجاه الحركة السياسية العربية فى فلسطين، تركزت المناقشات حول نوعية الشخصيات الصهيونية التى فهمت العرب، وكان لها اتصالات جيدة بهم، أمثال حاييم كالفارسكى، ودافيد يللين[٥١].

وفى أعقاب المؤتمر الصهيونى العالمى لعام ١٩٢١، أنشأ حاييم وايزمان «الإدارة العربية»، وألحقها باللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، بهدف تنظيم العمل فى هذا المجال، واختار لرئاسة هذه الإدارة يهوديًا صهيونيًا، علق عليه آمالا كبيرة، إنه حاييم كالفارسكى Hayim Margoliut Kalvaryski، الذى ولد فى سولك Suwalk فى بولندة، فى ٢٥ مارس عام ١٨٦٨، وتلقى تعليمه فى روسيا، حتى اجتاز المرحلة الجامعية، واجتذبته حركة «أحباء صهيون»، وكان واحدًا من الشباب الذين ذهبوا إلى فرنسا لدراسة الزراعة، فى مجال

الاستعداد « لإعادة بناء أرض إسرائيل » ، ووصل إلى فلسطين فى عام ١٨٩٥، وعمل لفترة معلما فى مدرسة « مكفى إسرائيل الزراعية » ، ثم تولى مسئولية الأيكا ، كمدير للاستعمار الصهيونى حتى عام ١٩٢٣[٥٢] .

وفى صيف عام ١٩٢١، جرت محاولة كبيرة لتنظيم كل القوى المعادية للحركة السياسية العربية فى فلسطين، فى إطار عمل سياسى ، له برنامج مشجع للصهيونية ، وودود معها ، وقد وجد الصهيونيون ضالتهم المنشودة فى « الجمعية العربية اليهودية » ، التى تأسست فى عام ١٩٢٢، وعرفت بين عرب فلسطين باسم « الجمعية الكالفارسكية » ، نسبة إلى كالفارسكى ، الذى أسهم بقسط وافر فى تأسيسها ، منذ أن بدأت اتصالاته بعرب فلسطين فى دمشق ، إبان حكومة فيصل ، إلا أنه لم يلق تجاوبًا ، فعاد إلى فلسطين ، لتبدأ اتصالاته بعدد من أبناء العائلات الفلسطينية المعروفة ، وظل يعرب عن إيمانه بالتعاون بين العرب واليهود ، حتى نجح فى تأسيس هذه الجمعية ، ثم أنشأ لها عدة فروع فى المدن الفلسطينية المهمة[٥٣] .

وفى يوليو عام ١٩٢١، تحولت « الجمعية العربية اليهودية » إلى « الجمعية الإسلامية الوطنية »[٥٤] ، وافتتحت لها مكاتب فى القدس والقاهرة ودمشق[٥٥] ، وقد اختير تاريخ هذا التحويل ، قبل أسابيع من مغادرة الوفد الفلسطينى الأول إلى لندن ، فى يوليو من العام نفسه[٥٦] .

ويذكر باحث إسرائيلى ، بأن هناك مهمة جندت لإنشاء « الجمعية الوطنية الإسلامية » ، تمثلت فى استغلال البغض الذى يكنه بعض المسلمين للمسيحيين فى فلسطين ، ففى الأوساط المسلمة ، زاد عدد هؤلاء الذين كانوا يجأرون

بالشكوى من أن عدد العاملين من المسيحيين فى الإدارة الحكومية ، كان أكبر نسبيًا من عدد المسلمين ، وقد بذل رجال المجلس الإسلامى الأعلى ، والجمعيات الإسلامية المسيحية ، واللجنة التنفيذية العربية ، كل ممكن لتقديم جبهة متحدة من المسلمين والمسيحيين ضد الصهيونية .

وكان من الطبيعى أن يحاول الجانب الصهيونى تعطيل قيام مثل هذه الجبهة المتحدة ، وهكذا لجأ مؤسسو « الجمعية الإسلامية الوطنية » إلى العمل ضد مقولة « الجمعيات الإسلامية المسيحية » ، بأنها ضمت المسيحيين فقط ، وأنها كانت أداة حقيقية لرعاية مصالحهم[٥٧] ، والحق أنه لم يصدر عن الجمعيات الإسلامية المسيحية مثل هذه المقولة ، وإلا فإنها توجه بذلك الدعوة إلى العرب المسلمين ، للانضمام إلى « الجمعية الإسلامية الوطنية » ، والواقع أن الباحث الإسرائيلى يتجاهل السبب الرئيسى فى تغيير اسم « الجمعية العربية اليهودية » إلى « الجمعية الإسلامية الوطنية » ، لجذب العناصر المسلمة من العرب ، وإبعادهم عن « الجمعية الإسلامية المسيحية » ، وكان فى تخطيط كالفارسكى أن ينشئ فى خطوة تالية ، جمعية أخرى تحمل اسم « الجمعية المسيحية الوطنية » ، وتصور أنه بذلك يحقق التفرقة بين المسلمين والمسيحيين من عرب فلسطين[٥٨] .

ورغم ذلك ، يستبعد مصدر صهيونى أن يكون حاييم كالفارسكى هو الذى ساعد فى تنظيم هذه الجمعية ، ولكن كالفارسكى دافع لمدة طويلة عن التعاون بين العرب واليهود ، بشكل لا يبعث على الشك أو الريبة ، فى صدق غرضه ، ولذلك شاركه بعض العرب فى مسعاه[٥٩] .

لقد تضمنت الوسائل التى استخدمها كالفارسكى فى إقامة هذه الجمعية ،

منح هبات شخصية لمؤسسيها فى أماكن مختلفة، مع تغطية مصاريفهم، وفى حالات أخرى، قدمت قروض بنكية للفلاحين، الذين سبق أن لجأوا إلى المرابين، وتورطوا فى الدين، بسبب غياب المؤسسات الائتمانية، وكانت مبادرة كالفارسكى إلى إنشاء هذه الجمعية، قد تمت بشكل طبيعى على المستوى الصهيونى، كما كانت الروابط بين هذه اللجنة وبين اللجنة التنفيذية الصهيونية قوية، أما الصحف التى عارضت سياسة اللجنة التنفيذية العربية، والتى بدا أنها تعد الطريق لظهور منظمة تعارضها، فقد انتفعت هى أيضًا من المعونة المالية، التى كانت اللجنة التنفيذية الصهيونية تقدمها كظاهرة عامة، كان عليها أن تستمر لفترة[٦٠].

أما بيان تأسيس «الجمعية الإسلامية الوطنية» فى القدس، الذى أعلن فى عام ١٩٢٢، فقد صيغ بعبارات تنم عن اتجاه إسلامى أصيل، فقد بدأ بالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وقول الله عز وجل: ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ۚ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، ومن هنا حق لمؤسسى الجمعية، ولكل من هداهم الله، أن يعملوا بأمره الحكيم، فيتعارف الإنسان مع أخيه الإنسان، لتزول الضغائن من بين الناس، و«تتوحد الكلمة، وتحصل الغاية»، ونبه البيان إلى أن السابقَ للخير السابقُ للحسنى، وما الخلق كلهم إلا عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وإلى أنه لما كانت الجمعيات «أقرب منهلا، وأسهل موردًا، لحصول التعارف، وتبادل المحبة»، فتزداد الروابط - دينية كانت أم دنيوية -، فإن العالم يتسابق فى إكثار جمعياته المتنوعة، ومنها جمعيات «البر

والإحسان»، و«العلم والعرفان»، والزراعة والصناعة وغيرها، مما يرقى بالمجتمع بشكل ملموس، وقد نظر القائمون على أمر «الجمعية الإسلامية الوطنية»، وأمعنوا النظر، وأكثروا من تدبر الأمور، وتبين لهم أن الواجب الوطنى يقتضى العمل، فشمروا عن ساعد الجد، غير مبالين بالعقبات التى كان من المقدر أن تعترض جهودهم، أو ردود الفعل التى توقعوا أن تحدث، بسبب قيامهم بهذا المشروع، وهم الذين يعلمون أن كل جديد مستنكر، حتى إذا أتى بمردود حسن، صار حسنًا، ورغب الناس فيه، وشدوا من أزر القائمين عليه، ومن هنا أسسوا «الجمعية الإسلامية الوطنية»، ورأوا أنه لا مانع من ذكر مبادئها وأهدافها «قطعًا لألسنة الخراصين»، الذين تعودوا الاعتراض على كل عمل، حبًا فى الاعتراض، وكان أولى بهم أن يقوموا بالأعمال «النافعة»، بدلا من الأقوال «الموجعة»، عملا بأمر رسول الله ﷺ: «قل الخير وإلا فاسكت»، ولكن ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾.

ولم يخف البيان أن قانون «الجمعية الإسلامية الوطنية»، الذى فاز بمصادقة حكومة الانتداب، نص على «أن مبدأ الجمعية الأساسى قبول الانتداب البريطانى لفلسطين، بشرط أن يراعى مركز الأكثرية الإسلامية، وهى الأكثرية الساحقة فى فلسطين، والسعى لتأليف ذات البين بين العناصر المستوطنة فلسطين، على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، وإزالة سوء التفاهم والشقاق، ونشر العلوم والمعارف، وترقية الزراعة والتجارة والصناعة، بتنشيط القائمين بها بقدر المستطاع، ومساعدة المحتاجين، والاهتمام بشئون الأيتام ومستقبلهم،

والمدافعة عن حقوق الأهالى ، بالطرق المشروعة ، ضمن دائرة القانون ، وأن تكون الجمعية أداة بين الأهالى والحكومة البريطانية ، لتوثيق الروابط ، وتحكيم العلائق ، التى تعود على إخواننا أهالى فلسطين بكل خير » ، وقد جاءت هذه المبادئ عملا بقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ و ﴿ إن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ ﴿ وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴾ ، وعملا بقوله ﷺ : « حب لأخيك ما تحب لنفسك » ، وما ورد عنه ﷺ : « لقد أوصانى جبريل بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » .

وتوقع واضعو البيان أن يبرز سؤال : لماذا لم يطلبوا الاستقلال التام ، بدلا من الانتداب ؟ وأجابوا بأن كل أمة لا تستقل اقتصاديًا ، لا تستقل ماديًا ومعنويًا ، والعلم فى فلسطين يكاد يكون مفقودًا ، ولا يمتلك أهل البلاد علمًا ومالًا ، يمكنهم من إرغام الحلفاء على قبول طلبهم فى الاستقلال ، طوعًا أو كرهًا ، والعاقل من يعمل بقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[٦١] .

وكان من الممكن أن يعول كالفارسكى على وجود أسرة النشاشيبى فى القدس ، ولكن نجاح « الجمعية الإسلامية الوطنية » هناك كان ضعيفًا نسبيًا ، إذ لم يتجاسر أحد من أفراد الأسرة نفسها فى أوائل العشرينات ، أن يظهر علنًا وقفة معارضة للجنة التنفيذية العربية وسياستها ، وفضلت الأسرة إتمام ذلك عن

طريق وكلاء، وفى صيف عام ١٩٢١، حاول بولس شحادة[٦٢]، الصديق الحميم لراغب النشاشيبى، مع عمر صالح البرغوثى[٦٣]، تكوين منظمة معارضة فى إطار الحركة السياسية العربية، ولكنهما فشلا، وعاد شحادة إلى مساندة «اللجنة التنفيذية العربية» لفترة قصيرة، رغم ذلك، أخذ كالفارسكى على عاتقه إنشاء الجمعية فى القدس، فى شتاء عام ١٩٢٢، حيث وجد من أعضاء أسرة الدجانى مساندية الرئيسيين، وعندما بدأت الجمعية نشاطها، كان على رأسها شكرى الدجانى، شقيق عارف الدجانى، السابق الإشارة إليه، وفائق الدجانى، ولم يحرز كالفارسكى أى نجاح فى تجنيد شخصيات بارزة من أسر أخرى[٦٤].

وفى بيسان، حيث رأس المسيحيون فرع «الجمعية الإسلامية المسيحية»، وجد كالفارسكى فرصة فى رغبة بعض وجهاء المسلمين فى شغل الوظائف التى شغلها مسيحيون فى الإدارة الحكومية، حيث توفر أحد العوامل المهمة، التى حركت بعض المسلمين للالتحاق بالجمعية الإسلامية الوطنية، ذلك لأن هؤلاء رأوا بأن الارتباط بتلك الجمعية، يمكنهم من كسب مساندة «اللجنة التنفيذية الصهيونية»، فى سبيل الحصول على وظائف حكومية، لقد أخذت فروع الجمعية الإسلامية الوطنية فى الظهور فى المناطق الشمالية (حيفا وعكا والناصرة وطبرية وبيسان)، وكانت أقوى فى هذه المناطق، وفى الوقت نفسه، لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون الجزء الشمالى من فلسطين مركزًا مهما لمعارضة اللجنة التنفيذية العربية، إذ بدا بأن قيادة النخبة فى القدس، لم تكن تقابل بحماس، فى منطقة لم تكن من قبل تابعة للقدس إداريًا، ولم يكن الشعور

بالتماسك فى داخل الحركة السياسية العربية قد بلغ بعد من القوة ، ليعوض ما ظهر من حساسية تجاه وضع القدس فى مكان قيادة تلك الحركة ، وبعد سنوات قليلة ، بدأت هذه الحساسية تظهر بشكل أقوى ، مما دفع عناصر إضافية للالتحاق بدوائر المعارضة ، وقد انتهز كالفارسكى هذه الظاهرة ، وأقام مع مساندیه تنظيمهم الموالى فى عكا ، وكان نشاطهم أحد العوامل الرئيسية المسئولة عن تحويل عكا ، وكل المنطقة الواقعة فى شمال فلسطين ، إلى مركز هام لمعارضة الحركة الوطنية[٦٥] .

كما نجحت الجمعية الإسلامية الوطنية فى النفاذ بنشاطها إلى مراكز أخرى فى فلسطين ، مثل نابلس وجنين ، هناك اعتمد كالفارسكى على أفراد فى أسرة طوقان ، وعلى فرع من أسرة عبد الهادى ، الذى عارض لمدة طويلة الحاج توفيق حماد زعيم « الحمولة » ، التى تسللت إلى حلبة المنافسة على الزعامة فى المنطقة ، على أى الأحوال ، تحرك فى هذه المنطقة عامل هام آخر ، قدر له أن يبرز بقوة لسنوات عديدة ، وبالذات بين الأسر القوية فى القرى ، وعندما بدأت الحركة الوطنية الفلسطينية تنظم صفوفها ، بقيادة تنحدر أساسًا من نخبة المدينة ، حدث أن أوقفت عناصر نخبة الريف مساندتها لتلك القيادة ، وعاشت تلك العناصر فى فراغ سياسى ، نجم عنه صيرورة أسر ريفية معينة فى منطقتى جنين وطولكرم ، على رأس التشكيلات السياسية المتحزبة ضد اللجنة التنفيذية العربية ، مثل أسرة جرار فى قرى جنين ، وأبو هنطش ، وهناك صورة مماثلة فى منطقة الخليل ، حيث كانت القوة الدافعة البدائية خلف إقامة كل منظمات المعارضة ، ممثلة فى أسرة هديب ، وشيوخ قرية الدوايمة ، وفى منطقة الرملة ،

أسرة الخواجة من نعالين[٦٦].

(٥) نشاط الجمعية الإسلامية الوطنية .

كان فرع « الجمعية الإسلامية الوطنية » فى حيفا ، أهم فروع هذه الجمعية ، وقد رأسه حسن بك شكرى - رئيس بلدية المدينة - لعدة سنوات ، وقد أقيل من منصبه ، بعد أن أبرق إلى سير هربرت صموئيل بالتحيات عند تعيينه مندوبًا ساميًا ، وإن أعيد انتخابه مرة أخرى فى عام ١٩٢٥[٦٧].

وقد بلغ فرع يافا تعبيره عن التعاطف مع المسألة الصهيونية ، عندما أقيمت بالفرع مأدبة على شرف حاييم وايزمان فى عام ١٩٢٢، حيث استقبلته وفود من بعض أنحاء فلسطين[٦٨].

وكانت « الجمعية الإسلامية الوطنية » تؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والنشاط الصهيونى بالبلاد ، فى كل الظروف ، بدعوى أنه بدون وصول مهاجرين ، يصحبهم تدفق رؤوس الأموال اليهودية ، لن تحدث تنمية فى فلسطين ، وقد نالت الجمعية موافقة سلطات الانتداب ، ولما بدأ الانتداب بصفة رسمية فى يوليو عام ١٩٢٢، ضاعفت الجمعية من معارضة نشاط اللجنة التنفيذية العربية ، وفروع الجمعية الإسلامية المسيحية ، واستمرت على عداء للخط الوطنى الفلسطينى[٦٩].

وكان كالفارسكى يتبع أسلوب الإجراءات الشكلية ، فى الدعوة إلى تنشيط جمعيته الإسلامية الوطنية ، دون جدوى ، فجعل أعوانه يبثون أفكارًا بين

صفوة الأفندية ، حول اهتمامات الجمعية بالتطور الاقتصادى ، الذى يؤدى فى النهاية إلى المنافع المباشرة ، من خلال الهجرة اليهودية إلى فلسطين[٧٠] ، والجدير بالذكر أن « الجمعية الإسلامية الوطنية » تكونت من الأفندية ، من الطبقة الوسطى بشكل أكبر من الطبقة العليا ، وكانت جماعات الأفندية من الحسينيين والنشاشيبيين تولى اهتمامًا بالأمور الاقتصادية ، أكبر من اهتمامها بالأمور السياسية ، وقد انساق بعضهم وراء وهم تحقيق مزايا مباشرة ، كان من الممكن أن تتوفر من جراء الهجرة اليهودية ، والتنمية اليهودية[٧١] .

وقد بدأت الجمعية نشاطها مع وصول الوفد الفلسطينى الأول إلى لندن ، فى يوليو عام ١٩٢٢[٧٢] ، فبدأت تعرض بأعضاء الوفد وبمواقفه ، يتضح ذلك من التماسات وعرائض وجهها أعضاء الجمعية إلى حكومة الانتداب ، تعارض فى إرسال الوفد إلى العاصمة البريطانية ، كما بينوا فى نداءاتهم الموجهة إلى عرب فلسطين ، بأن الوفد قد فشل فى مهمته ، وبعد عام من تأسيس الجمعية الإسلامية الوطنية وجه فرعا القدس وحيفا برقية إلى وزارة المستعمرات البريطانية ، تبين أن أعضاء جمعيتهم لا يتفقون مع الوفد ، وأنكروا عليه الحق فى التحدث باسم عرب فلسطين ، وبينما كان من المتوقع أن تسير صحيفة « مرآة الشرق » فى المسار نفسه ، إلا أنها ابتعدت فى تلك الفترة عن توجيه النقد إلى الوفد ، رغم أنها عادت بعد ذلك بسنوات إلى توجيه الهجمات القوية إليه[٧٣] .

ومن المعروف ، أن مكانة اللجنة التنفيذية العربية كانت قد انحدرت ، بشكل حاد خلال الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٨ ، بحيث عارضتها أغلب الصحف العربية الصادرة فى فلسطين ، ما عدا جريدة « فلسطين » ، أما

الانتخابات البلدية (١٩٢٥- ١٩٢٦) فقد كسبها المرشحون المنتمون لعائلة النشاشيبى ، وبدا ضعف اللجنة التنفيذية العربية واضحًا فى تصديها للميل الذى ساد فى تلك الفترة ، إلى تكوين أحزاب منفصلة ، معلنة أن فى ذلك تهديدًا للوحدة الوطنية[٧٤] .

وكانت الجمعية الإسلامية الوطنية توجه إلى العاصمة البريطانية برقيات ، تؤكد فيها أن عرب فلسطين يرغبون فى العيش فى سلام ، من أجل وحدة فلسطين وقوتها ، بالتعاون مع المقيمين الآخرين ، دون نظر للعنصر ، فى ظل الحماية البريطانية[٧٥] .

ورغم تراجع التمويل الصهيونى غير الثابت لنشاط الجمعية ، ورغم سوء سمعة الجمعية بين عرب فلسطين ، فإن كابلان يرى بأن الجمعية حققت بعض الأهداف من إنشائها ، فقد حققت قدرًا من الرأى فى فلسطين فى صالح الصهيونية ، وفى إعلانات الجمعية وبرقياتها إلى رجال السياسة فى بريطانيا ، وإلى دوائر عصبة الأمم ، اعترضت على حق الجمعيات الإسلامية المسيحية فى التحدث باسم شعب فلسطين ، وفى الوقت نفسه رحبت باليهود « كشعب صديق » ، يشارك العرب فى أفراحهم وأتراحهم ، ويساعد فى تجديد الوطن العام لكل من العرب واليهود ، وقد انتظرت الجمعية بشغف التوقيع على صك الانتداب « الذى يعتبر بداية حقبة جديدة من السلام والأخوة » بينهما ، وبشكل مباشر ، وظف أعضاء الجمعية فى مراكزهم حضورهم الطبيعى ، خلال أوقات التوتر فى فلسطين ، فى « صد المهيجين المعادين للصهيونية أو إفزاعهم »[٧٦] .

على أن فاعلية الجمعية، وضعت فى محل اختبار عملى حقيقى، فى شتاء عام ١٩٢٣، عندما عقدت انتخابات المجلس التشريعى فى فلسطين[٧٧].

كان صاحب الجلالة البريطانية قد منح دستورًا لفلسطين، فى العاشر من أغسطس عام ١٩٢٢، وأصبح الدستور نافذ المفعول، عندما نشر فى «الوقائع الفلسطينية» الرسمية، متضمنًا إنشاء مجلس تشريعى (مادة ١٧)، أشار الكتاب الأبيض (رقم ١٧٠٠) إلى تأسيسه، ونصت (المادة ١٨) على صلاحيات هذا المجلس[٧٨].

وأصدرت حكومة فلسطين قانون انتخاب المجلس التشريعى، فى أول سبتمبر عام ١٩٢٢[٧٩]، وكان الانتخاب على درجتين، وسمحت لسكان فلسطين من الذكور من ذوى التبعية العثمانية، أو من أقام فى البلاد حتى ذلك التاريخ، بحق الانتخاب، وحددت الحكومة أعضاء المجلس باثنين وعشرين عضوًا، منهم عشرة من الموظفين (ستة بريطانيون، وأربعة يهود)، واثنى عشر عضوا بالانتخاب (ثمانية مسلمون، واثنان مسيحيون، واثنان يهود)، على أن يرأس المندوب السامى لفلسطين هذا المجلس، وقد صيغت (المادة ١٨) بطريقة تمنح السلطة للمندوب السامى فى نقض أى قانون يقره المجلس التشريعى[٨٠].

وقد رفض المؤتمر الفلسطينى الخامس، الذى عقد فى نابلس فى ٢٢ أغسطس عام ١٩٢٢، إقامة مجلس تشريعى فى البلاد بهذا الشكل، وأعلن مقاطعة الانتخابات[٨١]، أما اللجنة التنفيذية العربية، فقد رفضت مشروع المجلس التشريعى، وأصدرت بيانًا، فى الثانى من سبتمبر عام ١٩٢٢، بررت

فيه رفضها ، بأنه ليس للمجلس سلطة تنفيذية مطلقة ، وليس من حقه النظر فى أمر يخالف سياسة حكومة الانتداب الخاصة بالمشروع الصهيونى فى فلسطين ، ورفضت أن يتولى المندوب السامى رئاسة المجلس ، وانتقدت اختيار أعضاء لجنة الهجرة من أعضاء المجلس ، وطلبت اللجنة التنفيذية العربية مقاطعة انتخابات المجلس ، مؤكدة بأنها على يقين من أن عرب فلسطين سوف يلبون نداءها[٨٢] .

وقد حاولت حكومة الانتداب من جانبها أن تحد من معارضة انتخابات المجلس التشريعى[٨٣] ، أما الجمعية الإسلامية الوطنية ، فإن وقفتها المساندة للانتداب البريطانى على فلسطين ، أدت إلى تضاد كامل بين موقفها « الإيجابى » من الانتخابات ، والمعاكس للمقاطعة التى أعلنتها اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين ، وكما سبقت الإشارة ، واجهت الجمعية الإسلامية الوطنية اختبارًا : إلى أى حد تمتلك الجمعية القدرة على شن حملة دعاية ، تحث على المشاركة فى الانتخابات ، وعدم مقاطعتها ؟ وما هو مقياس نجاح هذه الحملة ؟ ومنذ أن أصبحت مسألة الانتخابات أمرًا حقيقيًا ، فى خريف عام ١٩٢٢ ، بات من الواضح أن الجمعية الإسلامية الوطنية صممت على أن يكون لها دور فيها ، والحق أن حملة المقاطعة ، نظمت بشكل « فاتر » ، فى المراكز التى تحركت فيها الجمعية بقوة ، لقد وجد أعضاء الجمعية أن المرشحين للانتخابات قد حددت أسماؤهم بالفعل ، وفى تلك الأماكن التى أمكن للجمعية التحرك فيها بفاعلية ، كان نشاط أعضاء الجمعية فيها ظاهرًا ، وعنى نجاح اللجنة التنفيذية العربية فى إفشال الانتخابات ، بطبيعة الحال ، فشلا ذريعًا للجمعية[٨٤] .

وقد جاب نسيم ملول شمال فلسطين عدة مرات ، لتقصى حقيقة موقف العرب من انتخابات المجلس التشريعى ، ونشط فى تشجيع تلك العناصر التى كانت تولى الانتخابات اهتمامًا خاصًا ، ولهم مصلحة فى إنجاحها ، لكى يجعلوا أصواتهم مسموعة ، فى تحد للمقاطعة العربية ، وقد تسلم من عملاء وكلاء الرملة وحيفا وطبرية والخليل وغزة ومراكز أخرى ، تقارير دورية ، لخصها وترجمها إلى العبرية ، وقدمها إلى اللجنة التنفيذية الصهيونية ، للاستفادة منها[٨٤] .

حددت حكومة فلسطين شهر فبراير لإجراء الانتخابات الأولية التمهيدية ، وأسفرت عن انتخاب ثمانية وستين فقط من المرشحين المسلمين ، الذين بلغ عددهم ستمائة وثلاثة وستين مرشحًا ، وأربعة عشر فقط من المرشحين المسيحيين ، الذين بلغ عددهم تسعة وخمسون ، وإزاء هذه النتيجة ، اضطرت حكومة الانتداب إلى مد مدة الانتخاب إلى ٧ مارس ، وأسفر ذلك عن إضافة تسعة وثلاثين من المسلمين ، وأربعة من المسيحيين إلى قائمة المنتخبين ، وبذلك يكون المسلمون قد انتخبوا سدس المرشحين منهم فقط ، وانتخب المسيحيون ثلث المرشحين منهم ، بينما انتخب اليهود كل مرشحيهم (تسعة وسبعين) ، ويضاف إلى هؤلاء ثمانية من الدروز ، وبذلك تكون اللجنة التنفيذية العربية قد حققت نصرًا واضحًا على حكومة فلسطين ، وعلى الجمعية الإسلامية الوطنية فى آن واحد ، وأفشلت مشروع تحقيق تعاون وطنى مع البريطانيين والصهيونيين ، بالشروط المجحفة التى نص عليها الدستور[٨٦] .

وكان دكتور إدر يرى أن هذه الانتخابات ، مثلت محك عمل بالنسبة

لكل من الجمعية الإسلامية الوطنية ، والجمعيات الإسلامية المسيحية ، وخلال تجميع الجمعية الإسلامية الوطنية للعرائض التى أيدت الانتداب على فلسطين من القوى الفلسطينية ، فى صيف عام ١٩٢٢، كان الدكتور إدر يفكر بالفعل فى هذه الانتخابات ، وقدر أن التكلفة الصغيرة للحصول على توقيعات فلسطينية تتراوح بين ستة وسبعة جنيهات لكل قرية ، وقد استدل من صغر هذه التكلفة على أن عرب فلسطين لم يكونوا فى قرارة أنفسهم معادين للصهيونية ، وكان إدر متفائلا ، حيث قدر أن حزبًا عربيًا « معتدلا » يمكن تشكيله ، ليقدم مرشحين توظف جهودهم فى تقويض أركان المقاطعة العربية للانتخابات ، ومن هنا تنبأ بأن تكون لأعضاء الجمعية الإسلامية الوطنية قيمة فى المستقبل ، أكبر مما كان فى الماضى ، وتمتع خليفته كولونيل كيش بآمال مشابهة ، تمثلت فى اعتصابات عمالية عند أماكن الاقتراع ، ينظمها أعضاء الجمعية ، باعتبارها الخلية التنظيمية الرئيسية لهم فى البلاد ، ولكن سرعان ما ذهبت هذه الآمال وتلك ، فى اللحظة التى توقع المسئولون الصهيونيون تحقيقها ، حين انحاز أعضاء فرع القدس بكامل عددهم ، إلى المقاطعة ، وكان للجمعية ككل ، تأثير ضئيل فى كل البلاد ، وكان كالفارسكى كبش الفداء ، إذ أكدت التقارير الصهيونية أن ذلك حدث بسبب الإخفاق الذى سببته إدارة كالفارسكى[٨٧] .

ويذكر مصدر إسرائيلى ، أن هزيمة الجمعية الإسلامية الوطنية فى هذه المعركة كان متوقعًا[٨٨] ، بينما تقرر دراسة صهيونية أخرى ، بأن من الأمور ذات المغزى ، أن تحتل الدعاية المضادة لمشروع المجلس التشريعى القائمة على أسس دينية ، والتى أدارها الشيخ عبد القادر المظفر - أحد المشايعين للحسينيين -

مكانة مهمة فى الحملة الداعية إلى مقاطعة الانتخابات[٨٩].

عندما بلغت حملة الدعاية، التى شنتها اللجنة التنفيذية العربية قبل الانتخابات، ذروتها، كان من الواضح أن أعضاء الجمعية الإسلامية الوطنية لم يعد فى مقدورهم أن يتجاسروا على العمل علنًا، فى التشجيع على المشاركة فى الانتخابات، إذ تخوفوا من رد الفعل لدى نشطاء اللجنة التنفيذية العربية، وكانت القوى المعادية للجنة، سواء المرتبطة مباشرة بالجمعية الإسلامية الوطنية (مثل أسعد الشقيرى)، أو المساندة لها من خلف الكواليس (مثل عارف باشا الدجانى، وراغب النشاشيبى)، تعمل سرًا فى التشجيع على الاشتراك فى تلك الانتخابات، وإن أعلنت عكس ذلك، وكان الموقف الذى اتخذته «مرآة الشرق» - صحيفة النشاشيبى - مدخلا قريبًا من مدخل تلك القوى، ففى بعض الوقت، أعلنت الجريدة تأييدها للاشتراك فى الانتخابات، وفى أوقات أخرى عبرت عن الرأى القائل بمقاطعتها، وبشكل علنى، حاولت أن تتخذ الموقف الذى يمكن فهمه على الجانبين[٩٠].

ولما اقترب موعد الانتخابات، بدأ مختلف أعضاء الجمعية الإسلامية الوطنية يهجرون مواقفهم، ومواقعهم فى نشاط الجمعية، وفى اجتماع لأعضاء الجمعية، جرى فى القدس، عند اقتراب موعد الانتخابات، صوت معظم المشاركين فى الاجتماع ضد اتخاذ دور فى هذا المجال[٩١].

وهناك دليل على سوء تقدير القائمين على أمر الجمعية، ذلك أنه كانت هناك بعض العناصر تعمل جنبًا إلى جنب مع الجمعية الإسلامية الوطنية، من

حيث ميلها إلى الاشتراك فى الانتخابات، وإن عملت على انفراد، دون أن تنسق بين نشاطها ونشاط الجمعية، ولم يكن لهذا الجهد المنفصل والمستقل أى مردود يذكر، فى مواجهة تلك القوى الوطنية الكبيرة، التى اتحدت خلف سياسة عامة من وضع اللجنة التنفيذية العربية وتنفيذها، لقد كان بعض أعضاء الوفد الفلسطينى الأول إلى لندن ميالون إلى اتباع سياسة أكثر اعتدالا، بعد عودتهم إلى بلادهم، حتى أنهم حاولوا أن يسايروا تيار الحكومة، ورغم فشل محاولتهم الأولى فى خريف عام ١٩٢٢، إلا أنهم لم يقلعوا عن ميولهم، إن «معين الماضى»، الذى التزم الصمت، أثناء وجوده مع الوفد فى العاصمة البريطانية، كان من بين «المعتدلين»، وقد أعلن على العامة آراءه التى تحبذ الاشتراك فى الانتخابات، وقد اتصل «الماضى» مع زميل له فى الوفد «أمين التميمى»، «بسليمان ناصيف» - رجل الأعمال والتاجر الثرى من حيفا - وجندوا شخصيات إسلامية أخرى عديدة، وحاولوا دفع الحكومة إلى الموافقة على حل وسط، ففى مقابل اشتراكهم فى الانتخابات، طالبوا بأغلبية عربية (معينة جزئيا) فى المجلس التشريعى، وحد أعلى سنوى للهجرة اليهودية إلى فلسطين (ما بين خمسمائة وستمائة مهاجر)، وتعيين أمير عربى حاكمًا إسميًا لفلسطين، ولما لم توافق حكومة الانتداب على هذا الاقتراح، ترك أصحابه وقد أصابهم الإحباط، غير عازمين على أن يصنعوا مسألة عامة بينهم وبين الجمعية الإسلامية الوطنية، فى صالح الاشتراك فى الانتخابات، أو اتخاذ موقف ينأى بهم عن حملة المقاطعة[٩٢].

(٦) دواعى فشل الجمعية الإسلامية الوطنية .

رددت المصادر الصهيونية عدة عوامل لفشل الجمعية ، وتجاهلت عامل الحس الوطنى ، قدر إدر[٩٣] عمل كالفارسكى ، على أنه عمل ذو قيمة ولكن ليس على درجة ادعاءات كالفارسكى من حيث القيمة[٩٤] ، لقد كان مشروع الجمعية الإسلامية الوطنية ، من الناحية المالية ، مشروعًا غير طموح ، على الرغم من الاتفاق السخى بين سوكولوف وروتشيلد ، ولكن كالفارسكى كان يتسم بالمثابرة ، حين حرص على إبقاء الجمعية الإسلامية الوطنية على الساحة ، خلال عامى ١٩٢١ و ١٩٢٢ ، حتى اضطر إلى استدانة مبالغ كبيرة بصفة شخصية ، على أمل أن يمده حاييم وايزمان - رئيس المنظمة الصهيونية العالمية - بالمال لاحقًا ، بما يمكنه من الوفاء بهذا الدين ، وقد أُخذ وايزمان تمامًا ، عندما عرض عليه كالفارسكى كشفًا بالمنصرف على نشاط الجمعية ، فى أوائل عام ١٩٢٣ ، ورأى وايزمان وقتها ، بأن كالفارسكى بهذا كان عديم التبصر ، وتصرف تصرفات غير مسئولة ، لكن اللجنة التنفيذية الصهيونية فى لندن ، قدرت فى الحال أن تسوى المسألة مع كالفارسكى ، بعيدًا عن « الالتزامات الأخلاقية » ، من أجل تجنب فضيحة سياسية[٩٥] ، ولم ينكر كابلان رغبة كالفارسكى فى كسب العرب إلى جانب الصهيونية ، ولكن من خلال الهبوط بالنفسية العربية إلى أدنى درجات ممكنة ، وبينما كان يردد أنه « محب للعرب » ، فقد كان يرى أن العربى مادى بطبعه ، وأنه لو تحقق من أنه لن يكسب من جراء وقوفه إلى الجانب الصهيونى ، فإنه يعطى ظهره للصهيونيين[٩٦] ، وكأنما كان كالفارسكى

يطلب من العربى أن يخون وطنه مجانًا ، قد يتصور المرء أن الأموال الصهيونية كانت تتدفق فى سرية وتكتم ، على الجمعية الإسلامية الوطنية ، ولكن المسألة لم تكن بهذا الشكل ، حقيقة أن تأسيس أى فرع كان عملا سياسيًا بالدرجة الأولى ، تهون أى مصروفات إزاء القيام به ، وكان يتطلب مصاريف أولية ، ثم مدفوعات شهرية منتظمة ، لتأجير العقارات التى تتخذ مقرات ، فضلا عن المنح المالية التى كانت تقدم للمنظمين المحليين وللأعضاء ، على سبيل المثال ، صرف على فرع القدس مبلغ مائتين وخمسين جنيهًا فى عام ١٩٢٢ على حدة[٩٧] ، وكان تعاطف العرب الذين تعاملوا مع كالفارسكى وولاؤهم لجمعيته مزعزعًا ، لارتباطه بتدفق هذه المنح المالية ، وفى الوقت نفسه أثبت كالفارسكى أنه كان مديرًا ماليًا غير كفؤ ، وقد لاحظ إدر - منذ وقت مبكر - أنه يجب التخلى عن تقديم هذه المنح لأناس ، ربما كانوا يأخذون المال ثم « يضحكون » على الصهيونيين[٩٨] ، غير أن كالفارسكى احتال فى أحيان كثيرة ببذل الوعود ، ثم فشل فى تسليم الأموال التى وعد بها ، والتى زاد قدرها على تلك التى كان المموّلون لها عازمين على دفعها ، أو قادرين على توفيرها ، وكثيرًا ما كان كالفارسكى يتحدث عن توقعات كان من الصعب تحقيقها ، وبعد أن عود العرب المرتبطين به على توقع « الكرم » ، ورغم تفرقهم وتشتتهم ، وتباعدهم عن بعضهم البعض ، فإنه وجد أنه اقتحم مجالا يصعب الانسحاب منه ، لأن الهبات المالية التى تعود كالفارسكى تقديمها ، ليس من السهل إيقافها دون المخاطرة ، بإضافة عناصر جديدة إلى صفوف أعدائه[٩٩] ، الذين يعمدون إلى العنف[١٠٠] .

يذكر بأن توقف المساعدات المالية، التى قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية، للجمعية، بسبب الصعوبات المالية التى صادفتها، أفرز افتقاد العرب الحماس تجاه هذا العمل «غير المألوف» لديهم، على أن فشل الجمعية فى الصراع السياسى الأكثر أهمية، والذى جرى بين «الجمعية الإسلامية الوطنية» من جهة، وفصائل الحركة الوطنية الفلسطينية، الممثلة فى الجمعيات الإسلامية المسيحية، واللجنة التنفيذية العربية، والمجلس الإسلامى الأعلى، من جهة أخرى، عجل بعملية تحطيم الأولى، وفى ربيع عام ١٩٢٣، هجرها الكثير من الأعضاء، وتشتت فروعها أكثر فأكثر، واختفت تمامًا من الساحة بعد أشهر قليلة[١٠١].

بغض النظر عن الضعف، الذى اعترى «الجمعية الإسلامية الوطنية»، بسبب اعتمادها على المال الصهيونى أساسًا، فقد عملت الجمعية فى ظل التمايز الثقيل، إن لم يكن القاتل، الكامن فى معرفة عامة الناس بأنها من خلق صهيونى[١٠٢].

وتتضح درجة هذا الارتباط الوثيق بين الجمعية والصهيونية، فى رسالة[١٠٣] بعث بها كامل المعشرة إلى ملول، وفى حديث جرى بين لفيف من أعضاء الجمعية وكولونيل كيش[١٠٤]، وقد عرفت لجان اللجنة التنفيذية العربية بهذا الارتباط، وأفسدوه، للتقليل من مكانة الجمعية الإسلامية الوطنية فى أعين العرب، حيث عُرفت بين العرب كأداة صهيونية، وعرف أعضاؤها كرجال باعوا ضمائرهم من أجل المال[١٠٥].

علق هربرت صموئيل، بأن هذه المعرفة بين عامة العرب فى فلسطين، كانت تميل إلى إثارة الشك فى اليهود الصهيونيين، وفتحت المجال أمام الشائعات القائلة، بأن الناس اقتنعوا بالالتحاق بهم، بفعل وسائل غير لائقة وغير مناسبة، وبالتالى ألغى الشىء الجيد الذى قد تصنعه تلك الجمعية، ولقد بات من الشائع بين القوى الوطنية الإعلان عن «رشاوى» كالفارسكى، التى تقدم للعرب الذين «يبيعونا»، كما شاعت الدعوة إلى نبذ عرب كالفارسكى، حتى يغيروا ما فى عقولهم، ويعودوا إلى رشدهم[١٠٦]، وكان العنصر الصهيونى نفسه، هو الذى أمد بأول أسباب فشل جهاز من خلقه، فلم تكن القدرة المالية للمنظمة الصهيونية العالمية بالقدر الذى يجعلها فى مستوى الموقف، وإمداد الجمعية ماليًا بانتظام، وعندما توقفت المساعدة، أحبط أعضاء «الجمعية الإسلامية الوطنية»، وأخذ نشاطها فى التراجع المطرد، على الرغم من أن الرجل الذى كان يمتلك حسم هذه المسألة فى اللجنة التنفيذية الصهيونية - كولونيل كيش - لم يتمكن من إبعاد نفسه عن تلك السياسة، الرامية إلى كسب أصدقاء للصهيونية، من خلال المنح المالية[١٠٧]، ولكن المساعدة المالية، التى كان أعضاء الجمعية يطمعون فى الحصول عليها من اللجنة التنفيذية الصهيونية، لم تكن محدودة، ولا يقل عن ذلك أهمية، أملهم فى الحصول على وظائف حكومية بمساعدة الصهيونيين، وكان عليهم أن يواجهوا خيبة أمل أعظم فى هذا المجال[١٠٨].

وفى نهاية عام ١٩٢٢، كانت الأوضاع فى داخل «الجمعية الإسلامية

الوطنية » سيئة من الناحية المالية البحتة ، ففضلا عن المبالغ الكبيرة ، التى صرفها كالفارسكى ، فإنه ترك اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين ، وهى مثقلة بديون متراكمة ، قدرها ثلاثة آلاف جنيه ، وبينما كان كولونيل كيش مشغولا فى تدبير الوسائل ، التى تمكنه من التخلص من هذه الديون ، لكى يبدأ عمله فى المجال العربى ، خلفًا لدكتور إدر . على أرضية نظيفة ، كان كالفارسكى فى أوربا منذ شهر سبتمبر عام ١٩٢٢ ، قد تحول إلى وايزمان ، حاملا أولى ذرائعه اليائسة ، لإقناعه بتوفير مبلغ ثلاثة آلاف جنيه أخرى ، لدفع المبالغ التى وزعها من ماله الخاص ، نيابة عن « الجمعية الإسلامية الوطنية » ، للاستمرار فى عملها ، ويذكر كابلان أن شخصية كالفارسكى وصلت حينئذ إلى حالة فى الانحطاط والتدنى ، تدعو للإشفاق ، وبينما كانت عملياته « الهابطة والمشينة » تصحح فى فلسطين ، كان هو فى أوربا يجر أحبال الخيبة ، محاطًا بالخذلان من كل جانب ، ولم تكن إدارة « الأيكا » فى باريس ترغب فى تجديد عقده للعام التالى (١٩٢٣) ، وقد دعته اللجنة التنفيذية الصهيونية فى لندن للعودة إلى فلسطين - غالبًا بدافع من الرحمة والشفقة - لتسلم عمله ، بغرض الدفع بعلاقات أفضل بين العرب واليهود[١٠٩] ، على أنه بالنظر إلى سجل كالفارسكى السابق ، وجهت تعليمات إلى رئيسه الجديد - كولونيل كيش - شددت على أن كالفارسكى يجب ألا يعمل فى كل الظروف ، دون موافقة كولونيل كيش ، وتحت إشرافه ، وليس له أن يتدخل فى إنفاق الأموال الصهيونية[١١٠] ، فقد يكون ذا نفع فى مجالات معينة ومحددة ، رغم أنه كان هناك رأى قاطع بأن أحكامه معتلة ، ووسائله تفتح المجال لاعتراضات خطيرة[١١١] .

قبل أن يبدأ كولونيل كيش فى التعامل مع الحركة السياسية العربية فى فلسطين، كأولية فى مجال عمله كرئيس للإدارة السياسية باللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، كان عليه أن يواجه ما ورثه عن كالفارسكى، لم يشمل هذا الميراث الديون فحسب، ولكنه تضمن إلى جانب ذلك، ازدراء دوائر حكومة الانتداب واستخفافها، وصِرْح مفتت من التعاقدات والاتفاقات، مع قائمة طويلة من الاستحقاقات السابقة، ولكن كولونيل كيش لم يتخلص بشكل جذرى من التوجهات السابقة فى التعامل مع عرب فلسطين، وبسبب كل علامات القصور التنظيمى، الذى شاب الجمعية الإسلامية الوطنية، عمد كيش إلى الإبقاء على الجمعية، خلال عام ١٩٢٣، بينما سعى إلى تفعيل أكبر للمال القليل الذى صرفه - وبرغم تقليص حجم المدفوعات الصهيونية طالب أصدقاءه العرب بعائد أكبر، وبعد أن أصبحت سمعة «الجمعة الإسلامية الوطنية» فى الحضيض، بسبب عملها «الذى يرثى له» فى خلال انتخابات المجلس التشريعى (فبراير - مارس عام ١٩٢٣)، أصبح كيش مقتنعًا بضرورة إيجاد قاعدة جديدة أكثر تأثيرًا، لتنظيم العرب المعتدلين فى حزب جديد، من المنشقين على الجمعيات الإسلامية المسيحية، عند نهاية عام ١٩٢٣، وحمل اسم «الحزب الوطنى»[١١٢].

هذا على الرغم من ثبوت صحة النظرية القائلة، بأن إقامة «حزب عربى معتدل» عملية سابقة لأوانها، بعد أن أصبحت «الجمعية الإسلامية الوطنية» عاجزة عن تنمية أية روح حزبية، تلقى بمحتواها السلبى فى ساحة الحركة السياسية العربية، إنها لم تكن أكثر من ظل باهت لحزب سياسى، لقد كانت

مقولة صادقة، تلك التى فاه بها أحد المراقبين الصهيونيين للأحداث[١١٣]، فى أكتوبر عام ١٩٢٢، أقر فيها بأن «المعتدلين العرب» فى فلسطين، كانوا لا يزالون ضعافًا وغير منظمين، بعد كل الجهد الذى بذله مؤسسو «الجمعية الإسلامية الوطنية»، ورغم كل ما صرف على الجمعية حتى هذا التاريخ، وقد قام تحليله لميزان القوى السياسى فى البلاد آنذاك، على أنه لم يكن هناك أمل فى تدمير الحركة السياسية المعادية للصهيونية، أو فى زحزحة رجال الجمعيات الإسلامية المسيحية عن الأماكن التى ركزوا حركتهم فيها، واستبدالهم «بمعتدلين»، يجلبون من المراكز التى نشطت فيها «الجمعية الإسلامية الوطنية»، وكان هناك صهيونيون آخرون يشتركون فى هذا الرأى، وقد عقب الصهيونيون بأن أكثر ما يمكن توقعه من تنظيمات معادية للخط الوطنى - مثل «الجمعية الإسلامية الوطنية» - كان يقتصر على جلب الضرر والإزعاج والضجر للمتشددين العرب، حتى يتهيأ الظرف الذى يمنح الصهيونيين القدرة على التقدم بهدوء فى عملهم الاستيطانى، وتصبح الصهيونية أقوى من حيث الكم والكيف معًا[١١٤].

ويتهم الصهيونيون حكومة الانتداب، بأنها لم تفعل شيئا فى صالح «الجمعية الإسلامية الوطنية» رغم أن هربرت صموئيل اعتقد بأن بواعث كالفارسكى ومحركاته كانت مخلصة[١١٥]، ويرى الصهيونيون بأن الموقف الحكومى كان العامل الثانى لفشل الجمعية، بعد القصور المالى الصهيونى، فلقد وظفت اللجنة التنفيذية العربية، والجمعيات الإسلامية المسيحية، مختلف وسائل الدعاية، لممارسة ضغوط عامة وشخصية ضد أعضاء «الجمعية

الإسلامية الوطنية»، بهدف إعاقة اتخاذ الأجهزة الحكومية دورا فى نشاطها[١١٦]، وقد تمثلت إحدى الوسائل فى توجيه المسئولين العرب فى الحكومة لدعوات متكررة بحل الجمعية، ورغم أن الصهيونيين يقرون بأن الحكومة لم تذهب إلى حد تحريم نشأة «الجمعية الإسلامية الوطنية» إلا أنهم يدعون بأن مسئولين حكوميين (عرب فى الأغلب) عملوا ضد الجمعية، وضد أعضائها النشطين، فى كثير من الحالات، كما أنهم يدعون بأن الحكام البريطانيين فى الأقاليم والنواحى عملوا الشىء نفسه، ربما بدافع من الرغبة فى منع النزاعات داخل المجتمع العربى، والتى كان من الممكن أن تؤدى إلى صراعات، وقد علم أعضاء «الجمعيات الإسلامية المسيحية» بهذا الموقف، ولاشك فى أنهم تقووا به فى صراعهم ضد منافسيهم[١١٧].

وقد قيل فى اجتماعات للفأدلئومى[١١٨]، بأن موقف مسئولين فى حكومة الانتداب - بريطانيين وعرب - من «الجمعية الإسلامية الوطنية» أعاق عربًا كثيرين من الاستجابة لنشاط الجمعية، حتى إن بعض اليهود أصابهم قدر من الارتباك، إزاء مواءمة جهودهم مع جهود الجمعية، وبعيدًا عن اكتشاف الدليل على الافتراض، بأن لليهود سطوة على إدارة فلسطين، أصاب اليهود المحليين النشيطين بالفشل والإحباط، أثناء محاولاتهم العديدة لكسب التعاطف الحكومى، فى مجال التعيينات فى وظائف حكومية بالقدر الذى كانوا يطمحون إليه، سواء بالنسبة لليهود، أو بالنسبة لأصدقائهم من العرب، سواء كانوا أعضاء فى «الجمعية الإسلامية الوطنية» أم لم يكونوا[١١٩]، ولما أظهرت الوقائع فشل الجمعية فى تحقيق أهدافها، قال كالفارسكى: إن الحقيقة الأكيدة

هى أن الجماهير العربية لم تعد تقف متحدة تمامًا إلى جانب خصوم الصهيونية، واعتبر ذلك نصرًا جوهريًا لجمعيته، وأكد بأنه فى يونيو عام ١٩٢٣، أثناء انتخابات المجلس التشريعى، لم يفعل هؤلاء العرب الذين اختاروا أن يكونوا أصدقاء للصهيونية ما فعلوه، بسبب نبذ منافسيهم العرب وعزلهم عن المجتمع العربى فحسب، ولكن أيضًا بسبب تعرضهم لازدراء الحكومة لهم واستخفافها بهم، وذهب إلى أن «كل شىء كان مباحًا للجمعيات الإسلامية المسيحية، التى تملقتها الحكومة»، وعلى العكس من ذلك، دفع أعضاء «الجمعية الإسلامية الوطنية» إلى خارج الساحة السياسية، كأصدقاء للصهيونية، و«تجاهلتهم الحكومة تمامًا.. فى مثل هذه الظروف». وعقب كالفارسكى بأنه من العجيب ألا تكون الحركة السياسية العربية أكثر قوة، ويذهب كابلان إلى أن هذا الافتراض يضع علامة على التأثير السلبى لحكومة فلسطين على العمل الصهيونى، والعمل العربى المضاد[١٢٠]، ولكن مقولة كالفارسكى لا تنهض دليلا على أن الحكومة اتخذت موقفًا مضادًا لنشاط «الجمعية الإسلامية الوطنية»، المؤيد للاشتراك فى انتخابات المجلس التشريعى، فى وقت كانت الحكومة تعمل فيه على كسر حدة المقاطعة العربية لتلك الانتخابات، وجاءت النتيجة انتصارًا للعرب، وهزيمة لليهود والبريطانيين فى آن معًا.

لقد كان أحد العوامل الرئيسية للموقف الحكومى، غير المتعاطف مع «الجمعية الإسلامية الوطنية»، فى الشعور بالاستخفاف والازدراء تجاهها، بعد أن تبين للمسئولين الحكوميين بأن الجمعية اعتمدت، وبشكل كبير فى وجودها واستمرار عملها، على المنح المالية، التى قدمتها «المنظمة الصهيونية العالمية»،

من هنا نظر المسئولون للجمعية على أنها جهاز غير مستقل، له قيمة سياسية مشكوك فيها، غير أنه لا دلائل على أن تلقى المنح المالية كان مقتصرًا على «الجمعية الإسلامية الوطنية» وحدها، وطالما نظر المسئولون الحكوميون للجمعية بهذا المنظور، فلا عجب فى أن تكون الجمعية عاجزة عن كسب تعاطف الحكومة، وقد ترتب على ذلك عجز الجمعية عن مساعدة أعضائها، فى الحصول على مناصب حكومية[١٢١].

وكانت نتيجة هذا الوضع - كما اعتقد اليهود - أن ذوى الآراء المعتدلة من العرب، بادروا إلى الاعتقاد فى أنهم لو رغبوا - كما يرغب كل العرب - فى أن يكون لهم أصدقاء فى الحكومة، فلن يكون فى مقدرة اليهود تقديم المساعدة لهم، ومن هنا فإن وصف «الجمعية الإسلامية الوطنية» بأنها خلق يهودى مصطنع، دفع إلى حرمان أعضائها من أى بريق من الأمل فى فرص وظيفية، من حكومة كانت مصابة بالحساسية، خوفًا من أن يقال بأنها جمعية يهودية، وقد ساورت بعض الصهيونيين شكوك فى أن موقف الحكومة من الجمعية، قضى عليها بالفشل، وجاء فى مذكرة عرضت على المؤتمر الصهيونى العالمى الثالث عشر[١٢٢]، أنه حتى لو اعتمد الطريق الأمثل، وهو إعادة تنظيم «الجمعية الإسلامية الوطنية» وتقويتها ضد «المتطرفين»، بالالتفاف حول «المعتدلين» العرب، فإنه ليس هناك أمل فى النجاح، طالما استمرت حكومة الانتداب فى اتباع سياسة الحل الوسط القائمة على منح الامتيازات للزعماء «المتطرفين»، دون وضع المعتدلين منهم فى الاعتبار[١٢٣].

وكقاعدة عامة، اعتقد الكثير من اليهود، بأن مكانتهم كأقلية، بالمقارنة بالأغلبية العربية، اعتمدت بشكل كبير على الموقف المواتى من قبل الدولة الحاكمة، وكانت المسألة محصورة فى تصور الاعتماد غير الثابت والمزعزع على إجراءات الحكومة، ثم كان إطلاق سراح شاكر أبى كشك، فى أوائل عام ١٩٢٣، وقد كان أبو كشك القائد الرئيسى فى هجوم العرب فى مايو عام ١٩٢١ على مستعمرة بتاح تكفا، وقد فكر اليهود ملياً فى سيناريو إطلاق سراحه، وتبين للمراقبين منهم بأن الصورة وفرت الانطباع بأن العفو عن أبى كشك، كان نتيجة لضغط «الجمعية الإسلامية المسيحية» والبدو على المندوب السامى الذى استجاب لذلك الضغط العربى[١٢٤].

هناك عامل آخر تسبب فى ضعف «الجمعية الإسلامية الوطنية»، تمثل فى الصراعات التى عانت منها، كان بعض تلك الصراعات بين أعضائها بسبب عوامل شخصية، نجمت عن تفشى الغيرة بسبب النزاع بينهم على اقتسام المال الصهيونى، الذى كان يمنح للجمعية[١٢٥]، كما كان بعضها بدافع الغيرة الوطنية، إذ عارض بعض أعضائها التدخل الصهيونى فى سياستها، وقد بادر هؤلاء إلى قطع صلاتهم بالجمعية، أو ترك مواقعهم فيها على الأقل[١٢٦].

وإذا كانت «الجمعية الإسلامية الوطنية» قد انتهت إلى ذلك الفشل الذريع، حتى انهارت فى النهاية، ولم يتعظ الصهيونيون من هذه التجربة الفاشلة وإنما حاولوا تكوين أحزاب صغيرة فى فلسطين، على نفس الأسس التى قامت عليها الجمعية المنحلة، ولم ينتشر أى منها فى البلاد، حيث لم يحظ أى منها بتأييد

جماهيرى عربى ، حتى فى منطقة إقامته ، ويعود السبب الرئيسى لهذا الانكماش ، إلى أن جماهير عرب فلسطين كشفت المخطط الصهيونى ، منذ بدايته ، وتبين لها بأن هذه الأحزاب قامت بوحى مشبوه ، ومحرك من المراجع الصهيونية ، وأن الهدف الأساسى لها يكمن فى إحداث الشقاق بين الزعماء الوطنيين .

كان الحزب الوطنى أول هذه الأحزاب ، وقد أنشئ فى خريف عام ١٩٢٣ ، واتخذ من القدس مقرًا له ، تبعته فروع صغيرة فى الرملة والناصرة وحيفا وعكا والخليل وطولكرم وغزة[١٢٧] ، وفشل الحزب فى تحقيق أهدافه .

من الدروس المستفادة من تجربة « الجمعية الإسلامية الوطنية » ما اضطر القيادة الصهيونية أن تغير تكتيكها فى شق الحركة السياسية العربية فى فلسطين ، كما أنها أرادت أن تخلق رديفًا للحزب الوطنى ، ولكن على أساس آخر ، يقوم على الهوة بين الريف والحضر ، من حيث المستوى المعيشى ، فكان ظهور « حزب الزراع » الذى اعتبر فى الأوساط الوطنية صيغة أخرى ابتكرها كالفارسكى[١٢٨] ، وكانت بداية ظهور هذا الحزب فى قرية الدوايمة ، فى منطقة الخليل ، فى أواخر عام ١٩٢٣ ، وإن انتهى إلى الفشل .

مهما يكن من أمر ، ورغم فشل كل الجهود الصهيونية ، التى استهدفت ضرب الحركة السياسية العربية ، طوال العشرينات ، فإن تلك الجهود أربكت التيار الوطنى إلى حين وأخرته ، وطبعت خطاه بالبطء ، وإن مثلت نقطة فرز فى الساحة السياسية الفلسطينية ، ومعيارًا مهما للتمييز بين ما هو وطنى وغير وطنى ، بل إنها كانت إحدى محفزات التيار الوطنى الفلسطينى ، إذ رب ضارة نافعة .

الهوامـش

(١) محمد عبد الرءوف سليم (دكتور): العرب وتقسيم فلسطين، مع دراسة عن مؤتمر بلودان ١٩٣٧، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٤، ص ص ٤ - ٦.

(٢) لمعرفة أهداف البعثة وتكوينها ونشاطها في فلسطين، انظر: محمد عبد الرءوف سليم (دكتور): تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٨٩٧- ١٩١٨). ج ٢، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٤.

(٣) قام على تأسيسه: الحاج أمين الحسيني، محمد العفيفي، الشيخ يوسف ياسين، الشيخ حسن أبو السعود، إبراهيم سعد الحسيني.

(٤) برئاسة بشارة بولس.

(٥) برئاسة محمد مراد، وعضوية كل من نور الله، عبد الله مخلص، عبد الرحمن الحاج، مصطفى فخري.

(٦) برئاسة الخواجة بولس مجيب.

(٧) برئاسة أنطون جبريه.

(٨) أسسها: محمود عزيز الخالدي، سليم سليم الخواجة.

(٩) كامل محمود خلة (دكتور): فلسطين والانتداب البريطاني (١٩٢٢- ١٩٣٩)، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٣، ص ص ١٢٠- ١٢١.

(١٠) شمالا من خط يافا - القدس.

(١١) انتخب أمين عبد الهادي رئيسا، وجبرائيل خوري نائبا للرئيس، وأحمد الإمام كاتبا، وعبد الله مخلص أمينا للصندوق.

(١٢) كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ص ١٢٥ - ١٢٧.

(١٣) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٣، ط ١، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٦٤.

(١٤) محمد عبد الرءوف سليم (دكتور): محاولات التوفيق بين العرب واليهود في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١١٥.

(١٥) إميل الغوري: المؤامرة الكبرى، اغتيال فلسطين ومحق العرب، ط ١، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٥٦.

(١٦) انظر أعمال المؤتمر وقراراته، في: كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ص ١٢٩- ١٣٦.

(١٧) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٢، ص ٦٥.

(١٨) محمد عبد الرءوف سليم (دكتور): محاولات التوفيق، ص ٩١.

(١٩) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٢، ص ٦٥.

(٢٠) الشيخ سليمان التاجي الفاروقي سياسي فلسطيني، ولد في الرملة، وفي التاسعة من عمره فقد بصره، فانكب على حفظ القرآن الكريم، ودراسة علوم اللغة العربية، ودرس في الأزهر، قام بالتعليم في كبريات المدارس في إستانبول، وهناك أتقن اللغات الفرنسية والتركية والإنجليزية، كما كان يفسر القرآن الكريم في جامع أيا صوفيا، أصدر في يافا في ١٨ مايو عام ١٩٣٣ جريدة يومية باسم «الجامعة الإسلامية»، لتبحث في الموضوعات السياسية والعلمية والأدبية، وتكشف عن الأطماع الصهيونية في فلسطين، وقد ضاقت سلطات الانتداب بها، فعمدت إلى تعطيلها وإلغاء ترخيصها في عام ١٩٣٨، انظر:

الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٢، ص ١٥٨٦.

(21) Porath, Y.: The Emergence of the Palestinian Arab Movement (1918-1929), Frank Case, London, 1974, pp. 208 - 211 .

(٢٢) عارف باشا الدجاني (١٨٥٦ - ١٩٢٨): من بيت المقدس، وانضم إلى صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية مع بداية عهد الانتداب، وكان مع زميله موسى كاظم الحسيني من أقطابها، انظر:

الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٣، ط ١، ص ٦٧٩.

(23) Porath, Y.: op. cit., p. 211 .

(٢٤) كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

(25) Porath, Y.: op. cit., p. 211 .

(٢٦) توفيق على برو: العرب والترك في العهد الدستوري، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،

١٩٦٢، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(27) Porath, Y.: op. cit., p. 211 .

(٢٨) عقد فى القدس يوم الأحد ٢٩ مايو عام ١٩٢١، وانتهت أعماله يوم الخميس ٢ يونيو عام ١٩٢١، انظر:

كامل محمود خلة (دكتور): ص ص ١٦٧ - ١٦٩.

(٢٩) عقد فى نابلس يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس عام ١٩٢٢، انظر:

كامل محمود خلة (دكتور): ص ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

(٣٠) عقد فى يافا يوم السبت ١٦ يونيو عام ١٩٢٣، وانتهت أعماله يوم الأربعاء ٢٠ منه.

كامل محمود خلة (دكتور): ص ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

(31) Porath, Y.: op. cit., p. 214 .

(٣٢) هو الشيخ يونس الخطيب، وكان يشغل قبل ذلك بسنوات منصب قاضى مكة.

(33) Porath, Y.: op. cit., p. 217 .

(34) Porath, Y.: op. cit., p. 211 .

(٣٥) المجلس الملى ليهود فلسطين.

(٣٦) يهود فلسطين.

(٣٧) حملت البعثة الصهيونية لفلسطين هذا الاسم لتعمل نيابة عن الوكالة اليهودية حتى تم توسيعها فى عام ١٩٢٩.

(38) Caplan, Neil: Palestine Jewry and Arab Question (1917 - 1925), Frank Case, London, 1978, p. 133 .

(39) Ibid.: p. 135 .

(40) Mandel, Neville J.: Attempts at an Arab Jewish Entente, 1913 - 1914, Middle Eastern Studies, Vol. 1, No. 3, April 1965, p. 254 .

(٤١) يهودى فلسطينى، امتلك خبرة فى الشئون العربية.

(٤٢) ألقاها أمام لجنة الفأدلتومى.

(43) Caplan: op. cit., pp. 135 - 137 .

(44) Ibid.: p. 138 .

(45) Porath, Y.: op. cit., pp. 216 - 220 .

(46) Caplan: op. cit., p. 138 .

(47) Ibid.: p. 139 .

(48) Caplan, Neil: Futile Diplomacy, Vol. 1, Early Arab Zionist Negotiation Attempts, 1913 - 1931, Frank Case, London, 1983, pp. 63 - 64 .

(49) Ibid.: pp. 62 - 63 .

(50) Caplan: Palestine Jewry, pp. 127 - 128 .

(51) Kimche, John: Palestine or Israel, London, 1973, p. 45 .

(52) Esco Foundation for Palestine: A Study of Jewish, Arab and British Policies, Vol. 1, New Haven, Yale University Press, London, 1952, p. 562 .

(٥٣) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة، ج ٣، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٦١، ص ص ٣٧ - ٣٨.

(54) Kimche: op. cit., p. 45 .

(55) Porath, Y.: op. cit., p. 215 .

(56) Caplan: Futile Diplomacy, p. 162 .

(57) Esco: op. cit., p. 485 .

(58) Porath, Y.: op. cit., p. 215 .

(59) Ibid.: p. 213 .

(60) Ibid.: p. 214 .

(٦١) كامل محمود خلة (دكتور) : مرجع سبق ذكره، الملحق رقم ٣٠، ص ص ٥٣٩ - ٥٤٠، عن لسان العرب، ٣٠٥، ١٩٢٢/٩/١١.

(٦٢) صاحب مرآة الشرق .

(٦٣) من قرية دير عسانة، والشيخ التقليدى لناحية بنى زايد .

(64) Porath, Y.: op. cit., p. 218 .

(65) Gorny, Yousef: Zionism and the Arabs, 1882 - 1948, A Study of Ideology. Clarendon Press, London, 1987, p. 130 .

(66) Porath, Y.: op. cit., pp. 217 - 218 .

(67) Esco: op. cit., p. 484 .

(68) Ibid.: p. 486 .

(69) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(70) Esco: op. cit., p. 486 .

(71) Ibid.: p. 485 .

(٧٢) كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ١٦٨.

(73) Porath, Y.: op. cit., p. 218 .

(74) Esco: op. cit., p. 486 .

(75) Porath, Y.: op. cit., p. 214 .

(76) Caplan: Palestine Jewry, p. 130 .

(77) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(٧٨) كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ١٨٢.

(79) Esco: op. cit., p. 287 .

(٨٠) كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٢ - ١٨٣.

(81) Esco: op. cit., p. 289 .

(٨٢) كامل محمود خلة (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ١٨٣.

(٨٣) المرجع نفسه: ص ١٨٥.

(84) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(85) Caplan: Palestine Jewry, p. 138 .

(86) Esco: op. cit., p. 484 .

(87) Caplan: Palestine Jewry, p. 130 .

(88) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(89) Esco: op. cit., p. 287 .

(90) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(91) Ibid.: p. 220 .

(92) Ibid.: pp. 221 - 222 .

(٩٣) إدر، مونتاجو دافيد (١٨٦٦ - ١٩٣٦): من مواليد بريطانيا، شارك أثناء الحرب العالمية الأولى في حركة تجنيد كتيبة يهودية، والتحق بالبعثة الصهيونية إلى فلسطين عام ١٩١٨، وأصبح عضوًا في اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، ومديرًا لإدارتها السياسية بين عامي ١٩٢١ - ١٩٢٣، ثم شغل نفس المنصب في الفترة بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٨، ورأس الاتحاد الصهيوني لبريطانيا وأيرلندا بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٢، وكان من أكثر الصهيونيين ولاء للدكتور حاييم وايزمان، انظر:

Encyclopedia of Zionism and Israel, edited by Raphael Patai, Herzl Press, New York, 1971, Vol. 1, p. 271 .

(٩٤) من خطاب إدر إلى وايزمان في ١٣/١١/ ١٩٢١.

(٩٥) من خطاب شتاين إلى كولونيل كيش في ٢٨/٦/١٩٢٣، ومذكرة شتاين تحت عنوان «إدعاء كالفارسكي» في ٢٤/٩/١٩٢٣.

(٩٦) من خطاب كالفارسكي إلى بوليت Polit في إدارة اللجنة التنفيذية الصهيونية في لندن في ٢/٧/ ١٩٢٣.

(٩٧) مذكرة كيش بتاريخ ١٣/١٢/١٩٢٢.

(٩٨) من خطاب إدر إلى وايزمان في ٢٩/١١/ ١٩٢١.

(٩٩) من خطاب إدر إلى وايزمان في ٥/١٢/ ١٩٢١.

(100) Caplan: Palestine Jewry, pp. 128 - 129 .

(101) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(102) Caplan: Palestine Jewry, p. 129 .

(١٠٣) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٢٣.

(١٠٤) ولد فى الهند عام ١٨٨٨ حين كان أبوه يعمل موظفًا مدنيًا بريطانيًا ، والتحق بالجيش البريطانى ، وحصل على رتبة كولونيل ، وعينه وايزمان فى عام ١٩٢٢ مديرًا فى الإدارة السياسية التابعة للجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين ، ثم صار رئيسًا للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عقب توسعها فى عام ١٩٢٩، وكان همه الأول العمل على خلق تفهم بريطانى « جيد » لليشوف ، وتعلم العبرية والعربية ، مما ساعده على إجراء اتصالات عديدة بزعماء عرب ، وكان على قناعة بأن اتفاقًا بين العرب واليهود أمر حيوى لاستكمال العمل الصهيونى فى فلسطين بنجاح ، ولكن البريطانيين أحبطوا محاولاته ، وقد طالب بأن يقوم البريطانيون بمساعدة العرب « المعتدلين » بعيدًا عن الحاج أمين الحسينى ، على أساس أن « المتطرفين » العرب كانوا على استعداد لخيانة بريطانيا فى مواجهتها للفاشية ، وكانت له علاقات ودية بالملك حسين بن على وابنه عبد الله ، وعدد من المسئولين العرب فى الأقطار المجاورة لفلسطين ، انظر :

Caplan: Early Arab Zionist Negotiation, pp. 62 - 63 .

(105) Porath, Y.: op. cit., p. 219 .

(106) Caplan: Palestine Jewry, p. 129 .

(١٠٧) خطاب كيش فى اللجنة التنفيذية الصهيونية فى ١٣/١٢/ ١٩٢٢.

(108) Porath, Y.: op. cit., p. 220 .

(١٠٩) خطاب وايزمان إلى كالفارسكى فى ٦/٢/ ١٩٢٣.

(١١٠) من خطاب شتاين إلى كيش فى ١٠/٢/ ١٩٢٣.

(111) Caplan: Palestine Jewry, pp. 131 - 132 .

(112) Ibid.: p. 132 .

(113) Y. H. Castal .

(114) Caplan : Palestine Jewry, p. 131 .

(١١٦) خطاب حافظ طوقان إلى اللجنة التنفيذية العربية فى ٦/٤/ ١٩٢٢.

(117) Proath, Y.: op. cit., pp. 220 - 221 .

(١١٨) فى ٢ - ٣/١/ ١٩٢٣.

(١١٩) أثيرت المسألة فى اجتماع مشترك للفأدلةومى واللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين فى ٢٣/٣/ ١٩٢١، وفى اجتماعات إدر بممثلى الجمعية الإسلامية الوطنية فى ٢٤/٣ و٣٠/٣ و٢/٤/ ١٩٢٢.

(120) Caplan: Palestine Jewry, p. 145 .

(121) Porath, Y.: op. cit., p. 220 .

(١٢٢) تحت عنوان «برنامج سياسى عملى مقترح لتسوية المسألة العربية الفلسطينية» بتاريخ ٢٥/٧/ ١٩٢٣.

(123) Caplan: Palestine Jewry, pp. 144 - 145 .

(124) Ibid.: p. 143 .

(١٢٥) من برقية عثمان عبد الله إلى وزير المستعمرات البريطانى فى ٤/٣/ ١٩٢٢.

(126) Porath, Y.: op. cit., pp. 221 - 222 .

(127) Ibid.: p. 215 .

(١٢٨) عبد الوهاب الكيالى (دكتور): مرجع سبق ذكره، ص ٤٦.

* * *

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية